روايات غادة

مرغريت دن

هل سيطرق الحب بابك

www.elromancia.com
مرموزية

دار العلم للجميع
ش.م.م - لبنان

غـــادة

هل سيطرق الحب بابك مرة

حين يكون الارتباط بين شخصين مقيداً بشروط محددة ومحكوماً بمجرد الرغبة الخالصة تصبح الابتسامة كذبة والسعادة شقاء. فكيف سيكون الوضع حين يحرق الحب الصادق قلب أحد الطرفين فيما قلب الطرف الآخر لاهي عابث وغير مهتم. فرانشيسكا بردويل كانت الطرف الأول وجيرارد ستيفان الطرف الثاني. كان يهددها بوثيقة كانت معه لكن ماذا سيحدث حين ينتفي التهديد وتتحول الوثيقة الى مجرد ورقة بلا معنى؟؟!!.

- ١ -

«هذا مستحيل والدي!» صاحت باحترام وعدم تصديق: «أعد أرجوك ما قلته للتو».

تهالك السيد جاك بردويل على المقعد الجلدي الفخم داخل غرفة مكتبه المصنوعة من خشب الزان الثمين والمليئة بكل أنواع كتب المحاسبة والتجارة والمبادىء الأساسية للعمل التجاري.

مجرد النظر اليه أخبر فرانشيسكا بردويل ان كل ما يقوله والدها هو حقيقة واقعة.

«لكن...» تمتمت بذهول: «لكن لطالما كانت أعمالك مزدهرة وشركة التعدين خاصتنا تدر علينا الأرباح الطائلة بالإضافة الى تأمينها لرأس المال».

«هذا كان في الماضي» قال جاك بردويل بحزن وأسف: «في الماضي، منذ فترة ثلاث سنوات تقريباً انقلبت الأمور رأساً على عقب

يبدو كأن أسس التجارة والصناعة قد انقلبت بدورها وكل أساليبي التي أتبعها منذ خمس وعشرون سنة لم تعد ناجحة أو حتى نافعة بهذه الأيام».

«لكن والدي لقد ترعرعت ونشأت بهذه الشركة وورثت عن والدك كل الذكاء والمقدرة على انجاح أي عمل مهما كان صغيراً، فكيف تخبرني بكل هذا الآن؟».

«غلطة عمري الكبيرة كانت اشتراكي بالبورصة لقد وظفت كماً هائلاً من الأسهم في ذلك وفي البداية كانت الأرباح تتوالى وتنمو فاطمأن قلبي لهذا والتفت الى أعمال الشركة وانغمست بالتيارات المتنامية ووقعت بشرك المراهنة فما كان الا ان وجدت نفسي على الحضيض بين ليلة وضحاها».

وجهه الذي يحمل كل معاني التعاسة والندم منع فرانشيسكا من ان تنفوه بالكلمات القاسية التي كانت تتردد داخلها. كيف بإمكان والدها الرجل الذكي الواعي ان يراهن بكل ما يملك في سوق البورصة وشرك المراهنات؟ أين كان عقله وأين كانت مسؤوليته وهو يفعل هذا؟ اذا لم يفكر بنفسه فقط فلماذا لم يفكر بها هي ناضجة أجل وفي الرابعة والعشرين من العمر وتعتاش نوعاً ما من عملها في مصرف البلدة الرئيسي لكنها تعتمد عليه بالكثير من الأمور ولماذا لم يفكر بعمتها ماريللا العجوز التي تعيش معهم ولا يوجد لها أي ملجأ بحياتها غير منزل أخيها؟.

كيف انزلق والدها بهذه الهاوية دون أي داعي ولا حاجة؟ لماذا؟ حياته كانت سعيدة وهانئة رغم فقدانه لزوجته أي لوالدة فرانشيسكا قبل سنوات عشر. المأساة كانت مروعة بذلك الحين ولا تزال فرانشيسكا تتذكر صدمتهم الهائلة حين أتت نتائج الفحوصات لتؤكد ان والدتها الحبيبة مصابة بتورم خبيث في الدماغ وأن أيام حياتها كانت معدودة جداً. ورغم توقع الجميع الموت المحزن للوالدة الا ان ساعة حدوث ذلك الأمر سيطر الوجوم والذهول عليهم جميعاً وخاصة والدها الذي قضى أياماً وليالي داخل غرفته دون ان يخرج منها

والحزن قد زاد سنوات كثيرة على شكله ومنظره ولولا مساعدة الجميع وتكاتفهم للتخفيف عنه ومساعدته على تقبل الأمر باستسلام واقتناع لما كان اليوم بينهم هكذا. تلك كانت فترة من أحلك فترات والدها بعد فترة لحالته الطبيعية تدريجياً لكن مسحة الحزن لم تعد تفارق عيونه وانطفأ ذلك الشعاع الذي كان يلمع داخل عيونه معبراً عن سعادته القصوى قرب زوجة محبة ومخلصة وعائلة سعيدة وهنية.

انصب كل اهتمام والدها منذ ذلك الحين على العمل وكانت فرانشيسكا تجلس وإياه أحياناً ويتحادثان معاً حول أمور العمل وما اليه لكنها لم تنتبه مطلقاً ان أمراً ما كان يقلقه أو يزعجه بهذا المجال. لربما لم يكن والدها مدركاً للخطر الذي كان يتهدد كل أعماله بالمخاطرة هذه التي قام بها أو لربما هو لم يشأ اثارة قلق ابنته الحبيبة وقلقها على شؤونه. ما حدث الآن قد حدث وعليها التفكير بطريقة لتفادي كارثة الافلاس التي كانت تطل برأسها من خلف كل المشاكل والمصاعب التي كان والدها يشرحها لها بهذا اليوم التعيس.

حسن، علينا الآن تركيز تفكيرنا فقط على البحث عن حل لهذه المسألة» قالت بلهجة عملية: «ما مدى وصولنا الى درجة الافلاس الآن والدي».

دكنت ملامح والدها وبدا كأنه في التسعين من العمر وقال بهمس: «قد... قد يحصل ذلك بظرف أسبوعين اذا ما استمرت الحالة على ما هي عليه».

«وماذا تقترح ان نفعل؟ أقصد هل هناك أية طريقة ببالك بإمكاننا عبرها تأخير هذا أو حتى النجاح بالقضاء عليه وربح بعض النجاح بالعمل؟».

«بالحقيقة هناك طريقة واحدة فقط كانت تدور برأسي منذ أيام لكني لن أتمكن من اطلاعك عليها الآن. انها ضربة الأمل الأخيرة ولا يوجد أي حل آخر غيرها واذا ما نجحت فهي ستكون الحل لكل مشاكلنا وسأتمكن من تغطية خسارتنا اذا كان حظنا جيداً.

«أرجوك والدي لا تخفي شيئاً عني، قل لي ما هي هذه الطريقة

www.elromancia.com

فقد أتمكن من مساعدتك بشيء ما».

نظر اليها والدها بحب وانكسار وقال: «ما كنت أتخيل أبداً ان أعرضك والعائلة لهذا الموقف الصعب. لكن؟...».

اقتربت فرانشيسكا منه وأحاطته بذراعيها بحب وحنان: «لا بأس والدي أنا أعرف انك فعلت ذلك لمصلحتنا ولإعتقادك ان هذا ضرب موفق من ضروب التجارة لكن الأيام دائماً تخبيء للإنسان عكس ما يتمناه لننس ما حدث الآن ونركز على ما سيأتي».

التمعت الدموع داخل عيون جاك بردويل وقال: «سأخلصكم وأخلص نفسي من هذا الوضع الصعب أعدك بذلك فرانش لا تقلقي لربما لم يكن من الواجب اطلاعك على كل هذا منذ البداية».

«لا والدي لا تقل هذا أبداً فعلينا المشاركة بكل شيء وأنا أرغب حقاً بأن تخبرني بالطريقة التي تفكر بها».

«لا حبيبتي سأحتفظ بهذا لنفسي وسأطلعك على النتائج المفرحة انشاء الله بعد فترة وحين تؤتي الخطة نتاجها».

عانقته فرانشيسكا وتركته لتطمأن على عمتها مدركة انها مهما حاولت فلن تنجح بإقناع والدها العنيد بالتصريح لها عما يدور بخلده.

«آه فرانش حبيبتي» استقبلتها عمتها حالما رأتها: «أنا حقاً بخير فلا تشغلي نفسك بالإطمئنان علي كل ساعة».

ابتسمت الممرضة فيونا لفرانشيسكا بحب وقالت: «حالة عمتك ممتازة الا انها تحب ان تتدلل بين الحين والآخر وتختبر مدى حبك وتعلقك بها».

«آه عمتي انت تعرفين انك ووالدي أغلى ما أملك بهذه الحياة وانكما أعز عندي من روحي».

عانقتها الأذرع المعروقة وقالت العمة وهي تبتسم بخبث: «أعرف هذا لأنك يا غاليتي كل أمل لي في الحياة وأنا أتمسك بالحياة فقط من أجل ان أراك عروس بثوبك الأبيض ثم لاحقاً أم للعديد من الأطفال الذين سيدورون حولي ويشاغبون ويملأون حياتي العجوز

بالغبطة والسعادة».

ضحكت فرانشيسكا لهذا وداعبت رأس عمتها العجوز وقالت: «تعرفين جيداً أنني لا أفكر بالزواج الآن فأمامي مستقبلي العملي و...».

«أجل، أجل» قاطعتها ماريللا: «ونجاحك المهني وارتقائك بسلم العمل حتى تصلين الى رتبة مديرة المصرف أعرف ذلك جيداً».

مرت الأيام القليلة اللاحقة وفرانشيسكا يتأكلها القلق على والدها لقد لاحظت من أساريره أنه يحضر لشيء ما وتمنت فرانشيسكا الا تطول المدة قبل ان يطلعها والدها على الخطة المعنية.

وفي أحد الأيام استدعاها والدها وعلى وجهه علامات الحزم وقال: «فرانش اني بانتظار شخص بالغ الأهمية هذا المساء أرجو ان تدخليه الى غرفة مكتبي حالما يصل».

«حاضر والدي، لا تقلق سأفعل ذلك بنفسي».

كانت فرانشيسكا على موعد مع صديقها آلان لهذه الأمسية فالأمسية كانت ليوم السبت فتجهزت فرانشيسكا جيداً وارتدت ثوباً فيروزياً رائع عاري الكتفين ومنسدل بأنوثة وجاذبية على صدرها وخصرها حتى أسفل قدميها. سرحت شعرها الأسود الفاحم جيداً حتى التمعت أطرافه ثم أضافت بعض الكحل الى رموشها السوداء والتمعت عيونها الزرقاء الداكنة لانعكاس ظلال الماسكارا عليهما. ألقت نظرة أخيرة على المرآة ورأت خيالها بجسدها الطويل القامة الرشيق وصدرها الغض وكتفيها البرونزيتين وابتسمت بدلال وثقة وهي تدرس تقاطيع وجهها الساحر بعيونها الزرقاء الداكنة الواسعة والرموش السوداء الكثيفة، الأنف الدقيق والفم الممتلىء المثير والوجه البيضاوي النقي، هي لا تعتبر نفسها ملكة جمال لكنها واثقة تماماً من جاذبيتها وسحرها الفتاك، حركت شعرها الأسود القصير حتى أول رقبتها ثم ابتعدت عن المرآة حين سمعت صوت جرس الباب الرئيسي يرن.

هي تتمنى ان يأتي زائر والدها الهام هذا بسرعة قبل ان يحين

www.elromancia.com

موعد خروجها مع آلان والا فإنها ستضطر للإنتظار واياه لحين وصول هذا الزائر الذي هو ولا شك أحد رجال الأعمال الكبيري السن والمنتفخين الذين تعرفهم فرانشيسكا جيداً من أصدقاء والدها ذوي الجسد السمين والضحكة الواثقة والسيجار الثمين. ابتسمت لهذه الصورة التي تشكلت في خيالها وهي في طريقها لتفتح الباب وتجمدت الابتسامة على فمها حين رأت الطارق.

لم يكن الزائر هذا مطلقاً كالصورة التي تخيلتها للتو عنه. كان رجلاً ساحراً بكل معنى الكلمة، ببذته الزرقاء الغامقة الرسمية وقميصه الملون. وجهه كان كوجوه آلهة اليونان القدامى كأنه منحوت من البرونز الصلب بعيون سوداء واسعة ورموش كثيفة وأنف عالي دليل الشموخ والثقة وفم ممتلىء يكتنز كل الجاذبية والاثارة الموجودة بكل سكنات هذا الرجل الغريب البادي القوة والسيطرة. لسبب لا تعرفه فرانشيسكا ارتعشت أوصالها وشعرت بقلبها ينقبض وجف حلقها لرؤيتها لهذا الرجل.

كان هو يحدق بها بدهشة للحظة الأولى ثم التمعت عيونه حين أخذ يدرس كل تفصيل دقيق بوجهها وجسدها. الارتباك سيطر على فرانشيسكا وشعرت كأنها عارية أمام عيون هذا الرجل الوقحة والجريئة.

تعمدت السعال حتى ترطب حلقها الجاف وقالت: «والدي بانتظارك».

«جيرارد ستيفان» قال معرفاً عن نفسه ومد يده نحوها.

مدت يدها بدورها نحوه دون ان تتمكن من ابعاد ناظريها عن عيونه المغناطيسية. لا تعرف لماذا زاد شعورها بالخوف حالما تلامست يداهما فسحبت يدها بسرعة ومشت أمامه بقامتها الرشيقة نحو باب مدخل غرفة مكتب والدها.

نهض الوالد فوراً حالما رأى الزائر الغريب وأسرع نحوه محيياً.

«أهلاً، أهلاً سيد ستيفان تفضل أرجوك».

«سأذهب الآن والدي وسأعود في الثانية عشر كما اتفقنا» قالت

بسرعة وخرجت من الغرفة دون ان ترمي الغريب بنظرة واحدة فكتفيها كانا يلتهبان لإدراكها لنظراته المركزة عليها.

اتكأت على الحائط لتستعيد أنفاسها ما سر هذا الشعور الغريب بالخوف والاضطراب لمجرد رؤيتها لهذا الرجل؟ لقد صادفت الكثير من الرجال الذين يفوقون السيد ستيفان سحراً وجاذبية لكن أحدهم لم يثرك لديها هذا الانطباع وهذا الشعور. هزت رأسها نافضة هذه الأفكار عنها وأسرعت نحو باب الخروج حالما سمعت صوت سيارة آلان تتوقف بالخارج.

«آه يا قمري الجميل» صاح آلان مرحباً بها ونزل من السيارة على الفور: «يبدو انك مستعجلة للبدء بهذه السهرة».

«أجل وقلت لك آلان ألف مرة لا تنعتني بالألقاب كلما التقينا، نادني فرانشيسكا فقط لو سمحت».

«آه، لو تسمحين فقط بالموافقة على نداء قلبي لكنا الآن أسعد زوجين في العالم» قال بلطف وهو يساعدها على الدخول الى السيارة.

«آلان انت أعز وألطف صديق قابلته في حياتي وأنا أعتبرك كشقيق عزيز جداً على قلبي، فلا تعود لهذا الموضوع مجدداً أرجوك للمرة المئة».

«يا الهي فقط أريد ان أعرف لماذا كل الفتيات يعتبرنني كشقيق عزيز فقط».

ضحكت فرانشيسكا بمرح وهي تنظر الى وجهه الجميل وشعره العسلي الناعم وتقول: «لأنك لطيف ورقيق جداً وفي يوم ما ستقابل الفتاة التي تنظر اليك كحبيب وزوج رائع فلا تستعجل ذلك آلان».

«لكني لن أيأس من متابعة محاولاتي معك فرانش مهما قلت أو فعلت سأظل أحبك وآمل انك ستكونين تلك الفتاة التي تحدثت عنها في يوم من الأيام».

«يا لك من عنيد وملح» قالت بمرح مجدداً والسيارة تنطلق بهما.

الأسبوع التالي كان عادياً بالنسبة لفرانشيسكا وغاب والدها عن

www.elromancia.com

المنزل برحلة عمل لمدة يومين عاد بعدهما بحالة أثارت قلق فرانشيسكا وأعادت مخاوفها القديمة الى الواجهة. لكنه لم يصارحها بشيء، واكتفى بتطمينها ان كل شيء على ما يرام.

كانت فرانشيسكا في مكتبها في المصرف تتابع عملها كالمعتاد حين رن جرس الهاتف.

«الو».

قفز قلبها من مكانه حين أتاها صوت عمتها الباكي من الطرف الآخر.

«فرانش تعالي بسرعة... لقد تعرض والدك لنوبة قلبية و... و...».

«وأين هو عمتي أرجوك».

«انه في مستشفى الوردة البيضاء، تعالي بسرعة فرانش...».

لحظات كالدهر مرت توقف بها قلب فرانشيسكا عن العمل وتجمدت الدماء في عروقها قبل ان تصل فرانشيسكا الى المستشفى المذكورة.

«أرجوك يمنع دخول أحد الى الغرفة الآن» بادرتها الممرضة بلطف.

«لكنه والدي» صرخت فرانشيسكا بألم هائل.

«لا بأس حضرة الممرضة فالسيد برادويل يطلب ابنته بشدة ومن الأفضل ان نسمح لها برؤيته قبل إجراء العملية الجراحية له».

«يا الهي عملية جراحية؟! هل الوضع خطير لهذه الدرجة» قالت فرانشيسكا برعب هائل.

«للأسف الوضع متردي وسأسمح لك بخمس دقائق فقط معه بعدها يقدم الله ما يريد».

هرعت فرانشيسكا كالمجنونة الى الغرفة وشهقت من الخوف حين رأت والدها ممدداً على السرير والمصل معلق له والصمامات متصلة بصدره ويديه.

فتح والدها عينيه حالما أمسكت بيده ودموعها تنهمر على خديها

كالأنهار.

«فرانش» قال بصوت واهن: «سامحيني يا ابنتي، سامحيني».

«لا تفكر بشيء الآن والدي أرجوك فقط فكر بأن تحيا وتبقى معي ومع عمتي» قالت فرانشيسكا من بين دموعها: «وجودك أغلى من كل كنوز العالم».

«أشعر بالنهاية فرانش وأرى والدتك بانتظاري سامحيني فرانش سامحيني أرجوك لقد... لقد... لقد حاولت المحاولة الأخيرة... لكن... لكنها.... فشلت و....».

«والدي أرجوك لا تتفوه بمثل هذا الآن، أرجوك تفاءل ولا تغادرنا فأنا ما من أحد لي سواك والدي...».

نظرة وداع وذنب هائلة غمرتها قبل ان يشد والدها على يدها ويتمتم بالنفس الأخير: «فرانش... انت أغلى ما عندي بالوجود سا... سامحيني يا حبيـ...».

وانقطع النفس وصرخت فرانشيسكا بكل ألم العالم ولم تعد تدري بشيء الا بذراعين ترفعانها عن الأرض وتضعانها على سرير ما. وخزة ما وغاب كل شيء بسحاب أسود قاتم.

استيقظت بعد ساعات طوال وعاد شبح المأساة اليها وكانت الممرضة فيونا الى جانبها: «هيا فرانش تشجعي وتماسكي ما حدث قد حدث وكان ضربة قاضية لنا جميعاً لكن المسؤولية صارت بين يديك الآن. هناك عمتك المريضة وهناك المستقبل يجب ان تكوني أقوى من هذا لطالما عهدتك فتاة صلبة قادرة وقوية في الملمات».

«لكن... لكن الأمر صعب، صعب» تمتمت فرانشيسكا وعادت للبكاء.

«أعرف هذا يا عزيزتي لكن علينا تقبله والرضى به فالموت هو الأمر الوحيد الذي لا يستطيع الإنسان أمامه شيئاً».

تماسكت فرانشيسكا ونهضت وغسلت وجهها ثم بدأوا مراسيم الدفن والجناز وطوال هذه الفترة كانت فرانشيسكا تشعر بالخواء الداخلي والفراغ الهائل داخلها. لقد رحل والدها تركها وعمتها لقسوة

www.elromancia.com

الأيام والحياة بمفردهما وعليها هي الآن تحمل هذه المسؤولية ويجب ان تنجح بها من أجل عمتها الحبيبة ومن أجلها هي أجل هذا ما ستفعله بدون شك!.

اتصلت بمحامي والدها وعقدت معهم اجتماعاً في الأسبوع الثاني وحينها عرفت بالضبط ما الذي حدث وأدى بوالدها الى النهاية.

«لقد أمن والدك مبلغ خمسون ألف دولار» قال المحامي براندون: «من مكان لا نزال نجهله ودفع بقسم منه بعض ديونه والقسم الثاني وظفه على ناقلة بترول آتية من دول الخليج العربي. كان يعتقد انه بالأرباح التي سيجنيها من هذه الصفقة سيؤمن تغطية القسم الباقي من ديونه وبالتالي الحصول على بعض رأس المال لمتابعة العمل في الشركة من جديد. لكن يد القدر كانت له بالمرصاد لقد اشتعلت الناقلة في عرض البحر وغرقت وكان هو لشدة اضطرابه وقلقه وتلهفه قد نسي ان يتم عملية التأمين عليها بنفسه. لقد أوكل المهمة لأحد موظفيه الذي شاء القدر ان يمرض بنفس اليوم ونسي بالتالي أمر التأمين. وكانت النتيجة ان غرقت الناقلة حاملة معها آخر أمل لوالدك بتحسين وضعه والانتهاء من ديونه وكما يبدو كان الأمر أكبر من مقدار تحمله فقد فجر الضغط صمامات قلبه وكان ما كان» تابع المحامي بلهجة آسفة.

«ولكن من أين أتى بمبلغ المال الكبير هذا؟» سألت فرانشيسكا باستفسار.

«في الواقع هذا ما لم نعرفه» أجابها المحامي ستيفن: «لقد رفض إطلاعنا على ذلك قائلاً ان هذه مسألة شخصية تتعلق به وحده».

«والآن ما هو الوضع؟» سألت بعملية.

«نأسف ان نقول ان الوضع سيء جداً فالمبلغ المتبقي كبير ويجب رهن وبيع كل الشركة لسداد ديون المصرف وديون المرابين».

«تقصد ان كل ما سيتبقى لنا هو هذا المنزل فقط؟» سألت بذهول.

«في الواقع أجل، المنزل وكل ما يحتويه وكل ما حوله هو ما سيتبقى لك ولعمتك بعد تصفية كل الحسابات والديون».

كان ليكون الوضع أسوأ بكثير لو أن والدها قد تصرف بهذا المنزل أيضاً! فكرت فرانشيسكا بألم وهي تودع المحامين. هذا المنزل هو منزل طفولتها وأجمل أيام حياتها مع والدتها ووالدها وعمتها. وأيضاً روح عمتها متصلة بهذا المكان فبعد فقدانها لشقيقها الحبيب اشتدت أواصر الصلة بين العمة العجوز وجدران هذا المنزل فكل شيء به يذكرها بشقيقها وبعائلتها وبحياتها. فهذا المنزل كان ملكاً لجد فرانشيسكا قبل ان يصبح ملكاً لوالدها وعمتها، أجل الحمد لله ان المنزل بقي لهما. عمل فرانشيسكا سيؤمن لهما المعيشة رغم انها لن تكون معيشة مرفهة وثرية كالتي كانت أيام والدها لكن هذا لا يهم فالمهم انهما سيبقيان في المنزل هذا ولن يضطرا للدوران في الطرقات دون سقف يأويهما.

www.elromancia.com

- ٢ -

صباح اليوم التالي رن جرس الباب وشعرت فرانشيسكا بالذهول حين رأت ان القادم هو جيرارد ستيفان.

«آسف لأني لم أحضر قبل هذا الموعد لكني كنت في الخارج بداعي العمل وحين عدت وعرفت بالأمر جئت فوراً لتعزيتك».

«شكراً لك سيد ستيفان» قالت بنبرة منكسرة.

«أعرف ان الوقت غير مناسب لهذا لكن هناك موضوع أرغب بالتحدث به معك».

«موضوع معي أنا؟» سألته بدهشة.

«أجل انه موضوع مهم جداً ويتعلق بمسألة عمل بيني وبين والدك».

«بينك وبين والدي؟» رددت بذهول.

«هل ستبقينني هنا على الباب ونحن نتحدث بهذا الموضوع؟»

سألها.

فاعتذرت منه وطلبت منه الدخول الى مكتب والدها.

حالما دخلوا ناولها جيرارد ستيفان ظرفاً وحين تصفحته فرانشيسكا أدركت ان كل ما قاله جيرارد ستيفان هذا كان صحيحاً.

«لقد تم الأمر بيني وبينه شخصياً والا لكانت شركتي ومحامي قد اتصلو بك قبل هذا الوقت».

«يا الهي» صرخت الكلمات من فم فرانشيسكا قبل ان تتمكن من صدها.

حتى ولو باعت المجوهرات القليلة التي تملكها فلن تتمكن من سد نصف مبلغ الخمسين ألف دولار الذي تدين به لهذا الرجل.

«انت لا تمتلكين هذا المبلغ من المال آنسة برديل؟».

صوته كان واقعاً أكثر منه استفسار فتمسكت بشدة بمقابض كرسيها وهي تواجه عيونه الباردة.

«تأمين والدي بالكاد يستطيع تغطية كافة ديونه وأخشى انه كل ما تراه هنا...» وأشارت بيدها الى ما حولها: «هو كل ما أملكه فقط أنا وعمتي».

ظل جيرارد ستيفان هادئاً تماماً في مقعده ولكنها شعرت كأنه كالأسد الذي ينتظر تحرك فريسته لينقض عليها وحين تصلبت يداها على مقعدها كان هذا اشارة له فقد مد يده الى داخل سترته وأخرج مغلفاً كبيراً وناولها اياه.

«ربما كان عليك القاء نظرة على هذا أيضاً».

تناولت فرانشيسكا المظروف وفتحته بأيد مرتعشة وبداخلها كانت الكارثة الثالثة. أوراق وصكوك وامضاءات تفيد بأن والدها قد رهن هذا البيت كضمان مقابل المبلغ الضخم الذي استدانه. وكان مسجلاً انه في حال حصل شيء للمدعو جاك برديل قبل تسديد كامل المبلغ فيجب بيع البيت وتسديد المبلغ والباقي سيكون من نصيب فرانشيسكا وماريللا ليشتريا به مكاناً أصغر وأكثر راحة.

بيضاء حتى الشفتين بعروقها النابضة بقوة في رقبتها أعادت

www.elromancia.com

المغلف بيدين مرتعشتين الى الرجل الجالس أمامها، لكن يداها كانت ترتعشان بقوة فكادت توقع المغلف أرضاً قبل ان تمسكه أصابعه وتعيده الى جيبه الأمين.

«سيد ستيفان» بدأت بصعوبة مبتلعة ريقها الجاف: «هل هذا ما تنوي عمله؟ تبيع منزلنا لتحصل على المال الذي ندين لك به؟».

«هل بإمكانك اقتراح بديل آخر؟» سألها رافعاً حاجبيه باستفسار.

ثقته الزائدة بنفسه أشعلت فتيل غضبها. كيف يجرؤ على الجلوس هكذا ظاهراً بمظهر البرودة وعدم الإكتراث فيما ماريللا وهي كانتا معرضتين لفقدان المنزل الذي يحبانه ويقدسانه؟.

«ليس لوالدي الحق في رهن البيت مقابل قرضه، وأنت ليس لك الحق في قبول هذا» صرخت بغضب وهي تقفز على قدميها وذراعيها متكاتفين حولها كأنهما للحماية.

«في المعاملات التجارية آنسة برديل لا يوجد أي شرط على ما يجب على الشخص تقديمه أو قبوله كضمان» قال جيرارد ستيفان بنفاذ صبر وهو ينهض واضعاً اياها مجدداً في موقف ضعيف لأن كان عليها ان ترفع رأسها لتواجه نظرته المخترقة الباردة وتابع.

«أي محامي سيخبرك ان لي الحق الكامل بامتلاك هذا المنزل بغية حصولي على المبلغ الذي لي بحوزتكم».

«لكنه بيتنا!!».

«وإنه مالي الذي استعمل ليسد بعض حسابات والدك» نطق بالكلمات وارتعشت فرانشيسكا بوضوح: «لربما كان من الأفضل ان أحضر في وقت لاحق وأتكلم مع عمتك» تابع باختصار واتجه نحو باب الخروج.

«لا» كانت قد أصبحت بجانبه بلحظة وعينيها واسعتين من الذعر في وجهها الشاحب: «معرفتها ان البيت الذي تعشقه معرض للبيع ومرهون سيسبب لها الموت بالتأكيد. أرجوك سيد ستيفان... أعطني الوقت لأفكر في حل لهذا. قد أستطيع... من احضار المبلغ من مصدر آخر».

تقلصت عيناه بشدة وظنت فرانشيسكا للحظة انه سيرفض لكنه أحنى رأسه قليلاً موافقاً على اقتراحها وقال: «سأمنحك أسبوعاً ثم سأعاود الاتصال بك مجدداً».

«أنا... هل تستطيع اقتراح مكان غير هنا لنلتقي به؟» اقترحت بسرعة ورغبتها بإخفاء الأمر عن جدتها أقوى من ارتباكها بعقد موعد مع هذا الرجل الغريب في مكان آخر وتابعت: «عمتي... أنا لا أريد...».

«في مطعم الشيراتون» قال باختصار متفهماً لها وناولها بطاقته وقال: «يوم الخميس القادم في الرابعة والنصف».

بعد خروج جيرارد ستيفان الغرفة ولفترة طويلة ظلت فرانشيسكا تشعر بوجوده القوي في غرفة الجلوس هذه وهي تمسك بيدها بطاقته. ولو انها لم تكن مشغولة البال ويائسة لتذكرت سبب إلفة هذا الاسم. فاللعديد من السنوات الماضية كان هذا الاسم يتكرر كثيراً في الصحف والمجلات. جيرارد ستيفان المدير الثري لشركات ماجيك الاستثمارية» والذي في الثلاثينات من العمر كان مصنفاً كحلم النساء عند البعض، وكرجل بذهن حاد وذكي لا يفشل أبداً في اقتناص الفرص الجيدة حين يراها. مهم وربما قاسي كان هو رجلاً يفرض الاحترام وبعض الأحيان الخوف.

الخوف؟ هذا ما شعرت به فرانشيسكا في وجوده. الخوف مما سيحدث لعمتها ماريللا في حال معرفتها أن بمقدور جيرارد ستيفان ان يجردها من الشيء الوحيد والأخير الذي تعشقه... بيت صباها وذكرياتها.

ستحاول فرانشيسكا ان تحافظ على هذا المنزل...

سأتدبر هذا ولو كان هذا آخر عمل سأقوم به في حياتي، قالت فرانشيسكا لنفسها بإصرار وهي تدخل غرفة مكتب والدها، أمامها أسبوع، أسبوع فقط لتدبر المبلغ الضخم لجيرارد ستيفان وأملت في انها قد تجد شيئاً مفيداً في الأوراق والصكوك الكثيرة التي كانت تملأ الجوارير الكثيرة في هذه الغرفة. كانت متأكدة انها بمرور المهلة

www.elromancia.com

وعدم تمكنها من الدفع ان جيرارد ستيفان سينفذ وعيده وسيبيع المنزل ليحصل على ماله فهو لم يبلغ هذه المرحلة من النجاح في العمل ولم يصل الى هذه المنزلة لكونه متسامحاً وعطوفاً ـ فالرجال أمثاله لا يأبهون لخسارة غيرهم.

غرقت فرانشيسكا بتصنيف وقراءة كل الأوراق العديدة المتواجدة داخل مكتب والدها وكان أملها بإيجاد شيء ما يفيدها بتسديد ولو قسط من المبلغ للمدعو جيرارد ستيفان يتبخر مع كل ورقة. فالكل كانت مجرد صكوك وأوراق غير هامة لا تدر عليها فلساً واحداً من المال.

كانت الهموم قد بدأت تتكاثر حولها وجافاها النوم وهي تفكر بطريقة تمنع بها جيرارد ستيفان من تحطيم حياة عمتها. لكن عبثاً كانت تفكر. لقد ذهبت الى مدير مصرفها وشرحت له حاجتها للمبلغ المحدد الا انه أخبرها انه لا يستطيع ان يقدم لها القرض الكبير هذا الا باستعمال المنزل كرهن فالمنزل قصر قديم ثمين البناء وحده بالإضافة الى الأثاث الثمين سيؤمن لها المبلغ وزيادة تؤهلها للعيش وعمتها طوال حياتهما في منزل آخر صغير وعادي في أي حي من أحياء فلوريدا العادية.

حاولت فرانشيسكا طلب القرض من ماك فلود صديق والدها العزيز الا ان العم ماك اعتذر منها بشدة موضحاً لها انه بدوره يمر بخانقة مالية كبيرة وأنه قد يضطر لرهن كل ممتلكاته مقابل الحفاظ على شركته.

«يا الله» قالت والحزن يعتصر قلبها ما هو الحل الآن. لا يوجد اي سبيل لها للحصول على المبلغ الضخم هذا.

آلان بدوره عرض عليها المساعدة لكنه أخبرها ما تعرفه انه من غير الممكن الحصول على المبلغ دون رهن المنزل ومحتوياته.

عمتها كانت لا تزال بحالة صحية متردية بسبب الصدمة ولأن عمرها لم يكن يسمح لها بتحمل هكذا صدمات مأساوية. دخلت فرانشيسكا غرفتها مساء يوم الأربعاء بصمت وسكون.

«كيف هي اليوم؟» سألت فرانشيسكا الممرضة فيونا التي كانت تفتح الستائر ليدخل الضوء الى الغرفة.

«أنا أحسن بكثير شكراً لك يا ابنتي» أجابتها عمتها وهي تتململ في السرير.

«عمتي ماريللا، لقد أقلقتني عليك كثيراً» قالت فرانشيسكا بحب وهي تسرع الى قرب عمتها لتتفحصها عن قرب. لكن عمتها رأت حينها الدوائر السوداء حول عيني فرانشيسكا والتجاويف أعلى وجنتيها.

فقالت العمة: «يجب ان نستدعي الطبيبة كلارا لتصف لك انت شيئاً ما تبدين وكأن عينيك لم تغمض طوال الليل».

حقيقة تصريحها أظهر ابتسامة خفيفة على وجه فرانشيسكا لم يكن باستطاعتها اخفاء شيء عن هذه المرأة العجوز الذكية ولم تكن بحاجة لهذا الاخفاء الا الآن.

«سأكون بخير الأن بعد ان عرفت انك ستكونين بخير».

«بالطبع سأكون بخير» قالت العمة بعد ان جلست وربتت على يد فرانشيسكا متابعة: «نملك بعضنا البعض ونملك هذا البيت. مصيرك لا أستطيع ان أحدده يا عزيزتي لكنهم لن يأخذوا هذا البيت الا فوق جثتي».

تصريح العمة العجوز كان كالسيف الذي يخترق قلب فرانشيسكا ونشر الخوف أصابعه الجليدية على شرايينها من المحتمل جداً ان يكون فوق جثة جدتها ان يبيع جيرارد ستيفان البيت، وكبر وزن المسؤولية الملقاة على عاتق فرانشيسكا.

ان تتخلى عن بيت طفولتها هذا لم يكن سهلاً لكن شر ما كانت تخشاه هو فقدان عمتها لو حصل شيء ما لها. يجب ان تفعل شيئاً ما. يجب ان تجد حلاً لهذه المشكلة... لكن كيف؟... وأين؟ في مكان ما ضمن أوراق والدها لا بد من وجود شيء يساعد، لا بد، هذا ما تأمل به من أعماق قلبها.

وصلت سيارة الأجرة الى المكان المنشود وابتلعت فرانشيسكا

ريقها بصعوبة وهي تحدق بالفندق الفاخر الذي كان سيحمل لها اما الحل او. . .

في مكان ما داخل هذا الفندق وهي لا تستسيغ فكرة اعترافها له بفشل محاولاتها في ايجاد أي شيء ضمن أوراق والدها.

فتحت الأبواب الزجاجية الأوتوماتيكية فور اقترابها منها ورافقها أحد النوادل الى طاولة منزوية وخاصة داخل الغرفة الواسعة المضاءة بإضاءة خافتة.

مشت بسكون على الأرض المفروشة بالموكيت الى حين كان جيرارد ستيفان يجلس ونهض فور رؤيته لها، وكان ظهره للنافذة ورأت بوضوح طول قامته وضخامة منكبيه وأشار لها بالجلوس الى الكرسي العالي فجلست وشعرت عبرها فقط ان قدميها كانتا تصطكان هلعاً وتوتراً. استدار وجلس مكانه على كرسيه الكبير وقال:

«أظن انه من الأفضل عدم تضييع الوقت بالمقدمات وأن نبدأ بصلب الموضوع فوراً» قال باختصار وبالكاد أعطاها وقت لتجمع أنفاسها وتابع: «هل تدبرت أمر توفير المبلغ من مكان آخر؟».

تمنت أكثر من أي شيء في حياتها ان تناوله شيكاً بالمبلغ وتدفعه له. لهذا الرجل المتسلط الجالس أمامها لكن للأسف كان عليها الاعتراف له بفشلها.

قالت: «كلا، أخشى أنني لم أستطع تدبير مثل هذا المبلغ من مكان آخر».

«اذن فأنت لا تتركين لي أي بديل عن تنفيذ أوامر والدك» أخبرها ببرود متعمد دافعاً كرسيه الى الوراء وكأن المسألة قد انتهت وأدركت فرانشيسكا ان عليها ان لا تؤخر طلبها أكثر من هذا.

«سيد ستيفان. . .» بدأت دافعة كبريائها الى الوراء: «أنا أحب المنزل جداً وأكره الافتراق عنه، لكن من أجل عمتي وليس من أجلي علي ان أتوسل اليك الا تبيع منزلنا، ليس الآن على الأقل».

«لا أعتقد أنني أفهمك آنسة برديل» قال وعاد الى مكانه.

صوته وطريقته لم يكونا أي تشجيع وغضت نظرها فوراً من شدة

قوة نظرته.

«عمتي امرأة مسنة سيد ستيفان وهي ليست بصحة جيدة، ومنزلنا كان منزلها منذ ان ولدت، وهي تحب كل زاوية وكل إنش فيه. موت والدي و. . . كل ما سبق ذلك كان صدمة كبيرة لها» ابتلعت ريقها بعصبية وتابعت: «اذا. . . اذا بعت المنزل الآن فهذا. . . هذا سيعني موتها المؤكد».

ظهرت بعض علامات عدم التصديق على وجهه وهو يتلاعب بقلمه الذهبي بين أصابعه القوية وقال: «هل انت تقترحين ان أؤجل عملية بيع المنزل للوقت الحالي؟».

«نعم» قالت وغضت بصرها مجدداً وأضافت بسرعة: «لك الحق الكامل في تحديد الفائدة الإضافية التي تزيدها على المبلغ المحدد».

للحظات طويلة ظل صوت السير في الخارج هو المسيطر بينهما وقام هو من مكانه واقترب منها قائلاً: «يبدو لك انك قد فكرت جيداً ومطولاً بهذه المسألة؟».

«لم يكن عندي أي بديل سوى ان أفكر بها مطولاً» اعترفت وهي تشعر بشدة بصغر حجمها أمام الرجل الواقف أمامها: «أنا أعلم مدى تعلق عمتي بالمنزل، صحتها لم تكن على ما يرام مؤخراً وأخشى ان صدمة أخرى لها ستكون القاضية عليها».

«اذن ما يوجد في قعر طلبك هو التالي» قال لها وعيناه تلمع بطريقة غريبة: «تريدين مني الانتظار الى أجل غير مسمى. . . الى ما بعد وفاة عمتك قبل ان. . . أبيع منزلكم؟».

التمع الأمل بوهن في قلبها وقالت: «وهلا فعلت هذا؟».

«قد أفعل» جاءها رده المختصر وأخذ يذرع الأرض قربها ويديه في جيبيه وتابع: «أظن ان عمتك لا تعلم بالإتفاق الذي كان بيني وبين والدك؟».

«يجب ان لا تعرف أبداً» قالت فرانشيسكا ببساطة وهي تشعر بالتصلب داخلها: «سيد ستيفان، هل ستفعل كما طلبت منك؟ من

www.elromancia.com

أجل امرأة مسنة، امرأة مسنة حياتها تخطو بسرعة نحو النهاية؟».

«اذا فعلت» قال وهو يجلس على الكرسي بجانبها.

وتابع: «عندها يجب علي الاستفادة من بعض أنواع التعويض».

«التعويض؟» ورمشت عيونها باتجاهه بارتباك: «أنا... أنا لا أفهم ما تقصد».

«ألا تفهمين؟».

فمه القاسي التوى قليلاً ولكن عيناه هما اللتان أعطيتاها الجواب وهما ينزلقان عليها ببطء وتعمق فشعرت بنفسها تجرد من ملابسها وتقف عارية الا من ثوبها الحريري الداخلي وأخذت نفساً عميقاً كم شارف على الغرق.

«سيد ستيفان، انت لا تسألني ان... ان...».

«ان تصبحي عشيقتي؟» ملأ فراغ جملتها وصوته ملون بمسحة من السخرية دفعت بالدم الى وجنتيها وتابع: «هل ستفعلين؟».

«كلا» صرخت بالكلمة: «أبداً».

«لقد اعتقدت هذا» علق جيرارد ستيفان ببرود وسحب علبة سجائره وعرض عليها احداها. فرفعت يدها المرتعشة بالرفض فاشعل هو سيجارة وقال: «كلا، آنسة برديل، التعويض الذي أسعى أنا اليه هو الزواج. تزوجيني وستظل عمتك في المنزل طالما هي على قيد الحياة».

قلب فرانشيسكا قفز من مكانه وتجمدت دماءها من المفاجأة.

«انت لست جاداً» تمكنت من القول مقتنعة انه لا شك يمزح معها لكن شيئاً في ملامحه لم يؤكد لها انه حقاً يمزح.

«أنا جاد جداً» أكد لها بهدوء لكن عقلها المشدوه أصر على عدم تصديقه.

«لكن هذا غير معقول؟!!».

«هل هو كذلك؟» سألها وهو يحدق في دخان سيجارته: «أنا أسمي الأمر منطقياً جداً كطريقة للتعويض لي عن كوني غير مقتنع».

لم يعد لدى فرانشيسكا أي شك انه يقصد كل كلمة قالها وبرود

الرعب اكتساها سارقاً اللون من خديها وناشراً الخيالات داخل عيونها الزرقاء الواسعة التي فقدت منذ فترة بريقها.

«أفترض انه في حال وافقت على عرضك فأنت تنوي ان تجعله... تجعله زواجاً حقيقياً؟» سمعت نفسها تسأله بصوت بدا أبعد ما يكون عن صوتها.

«طبعاً».

«واذا رفضت؟».

تقلصت عيناه الفولاذيتين الرماديتين وقال: «عندها سيباع المنزل دون اعتبار العواقب».

بمساومة فرانشيسكا لنبرة صوته المؤكدة ما سيحصل وقالت: «انت تقوم بمساومة صعبة سيد ستيفان».

«المساومة هي جزء من عملي» ذكرها وهو يسحق سيجارته في المنفضة بجانب كرسيه: «أنا أعرف ماذا أريد وأنطلق للحصول على ما أريد فوراً، لكني لا أزال أعتبر مطلبي منطقياً جداً».

«لا شيء منطقياً حوله. أنا بالكاد أعرفك وأنت تتوقع مني ان... ان، آه، يا الهي!» ودفنت وجهها في يديها المرتعشتين وهي تتخيل كيف بإمكانها الزواج من هذا الرجل الحديدي ان يكون. ستكون له ليفعل بها ما يشاء فيما ستتابع عمتها ماريللا حياتها بسلام وطمأنينة داخل المنزل العتيق.

«لا تعتبري الأمر حكماً بالإعدام» قاطع أفكارها بقسوة: «قد أمِلُّ منك حين يحين موعد بيع البيت وعندها ستكونين حرة بالذهاب» ابتسم بخبث وتابع: «الطلاق سهل جداً في هذه الأيام».

«يجب ان يكون عندي الوقت لأفكر» قالت.

نظر جيرارد ستيفان الى ساعته وقال: «سأعطيك عشر دقائق للتفكير حتى يحين موعد تقديم الطعام».

«عشر دقائق؟» سألت بعدم تصديق وقد التمعت شرارة من الغضب داخل عينيها المستغربتين.

«كم ستحتاجين من الوقت لتفكري بالتأثير الذي سيجره رفضك

www.elromancia.com

على حياة ومصير عمتك؟» سألها بصوت واثق فيما هو يتحرك الى الكرسي المقابل لها وحين اقترب منه النادل طلب شراب قوي.

«اشربي هذا» قال واضعاً الكأس بين يديها: «قد يهدىء أعصابك ويساعدك على الرؤية الصحيحة».

ارتجفت يداها بشدة فأسرعت بوضع الكأس على فمها وشربه قبل ان يسقط منها سعلت وشهقت لتأخذ الهواء لأن المشروب الناري قد لسع حنجرتها ولارتباكها الشديد وجدت ان عينيها قد امتلأتا بالدموع فوضعت كأسها جانباً ولمحت نظرة المرح الخفيفة داخل عينيه وانفجر غضبها فوراً.

«أتمنى لو كان باستطاعتي ان أقول لك ان تذهب الى الجحيم وأن تبقى فيه الى الأبد» قالت وهي تمسح عينيها بالمنديل.

«لا شك عندي أبداً تتمنين هذا» قال بسرعة: «لكن ضميرك لن يسمح لك بهذا. سنوفر الوقت لو انك تعطين الجواب الذي أريده فرانشيسكا».

لسبب غير معروف استعماله لاسمها اقترح وجود الود والحميمة بينهما وهذا أرسل شعور من الرعب داخل عروقها.

«لا يوجد أمامي أي خيار أليس كذلك؟».

«نعم تماماً».

«اذن انت لا تحتاجين لأخبرك ما يجب ان يكون جوابي».

حدق بها بقوة للحظة جاعلاً اياها تشعر وكأنها حشرة مثبتة بدبوس، ثم حرك كتفيه قليلاً ثم ابتلع ما تبقى داخل كأسه.

«سأتصل بمديرك في مصرف البلدة وأتدبر لك أمر المغادرة وترك العمل يوم الخميس المقبل» قال بصوت عملي ونظرة فرانشيسكا المشدوهة قابلت نظرته.

«كيف تعرف أين أعمل؟».

«يا طفلتي العزيزة، لم أكن كسولاً في الأسبوع الماضي» قال ساخراً: «فيما كنت تحققين في أوراق والدك كنت أنا أتحقق عنك».

«لماذا؟» سألته بإلحاح: «هل تصورت أنني قد أتجاهل ديون

والدي وأفر هاربة بعد ان أبيع البيت، أو ان أقوم بأي عمل مشين آخر؟».

«كلا» قال بثبات: «عندك الكثير من الكبرياء ومن قوة الشخصية حتى لا تفكري بالقيام بأي عمل جبان وخسيس».

ملاحظته هذه فاجأتها: «لو انك كنت تعلم هذا، اذن فلماذا كنت تحقق عني؟».

«لقد أثرت اهتمامي، ولهذا جعلتك شغلي الشاغل في الأسبوع المنصرم».

ابتسم قليلاً وزاد التوتر داخلها حين لاحظت جاذبية ورجولة فمه وتابع أنا أعلم ان عمرك هو أربعة وعشرون عاماً وأن والدتك قد توفيت قبل عشر سنوات. والدك لم يتزوج ثانية وعمتك هي التي رعتك وأنشأتك. وأعلم أيضاً انك تقابلين كثيراً أحد الشباب والذي يدعى آلان فاردي، وأنه لو كان الأمر عائداً له وحده لكنتما الآن متزوجين» شهقتها المندهشة جعلته يتوقف قليلاً للحظة قبل ان يتابع بنعومة: «هناك القليل فقط الذي لا أعرفه عنك فرانشيسكا بردويل، وما لا أعلمه أنوي معرفته بعد زواجنا».

معنى كلامه كان واضحاً جداً واشتعلت وجنتاها وابتعدت بنظرتها لتتفادى نظرة عينيه المخترقة وقالت: «أنا واثقة ان العديد من النساء قد أثرن اهتمامك في السابق».

«أنا لا أنكر هذا».

«ولا أنا غير عارفة بشهرتك وسمعتك فيما يختص بالنساء» قالت قبل ان تتمكن من ان تضبط لسانها والتمعت التسلية داخل عينيه، متعة وتسلية كانت مركزتان عليها وجعلتا الدم يسرع بالعودة الى وجنتيها.

«أنا لم أخف أبداً الواقع في أنني لا أعيش عيشة النساك» أعلن بطريقة عادية: «كما أني لم أدّع أبداً باهتمامي بالزواج».

«وما الذي دفعك لتكسر تلك القاعدة في هذه المناسبة؟» سألت وهي تحتقر نفسها لفضولها.

www.elromancia.com

القوانين وضعت لتكسر في بعض الأحيان، كهذه الحالة مثلاً. أنا علمت انك لن تعطيني الشيء الذي أريده منك دون شهادة زواج قانونية».

«هل عليك ان تكون قاسياً جداً هكذا؟» قالت واقترفت الغلطة الكبيرة بوقوفها على قدميها فوراً وسرعان ما حذا هو حذوها ووقفا وهما يكادان يلتصقان ببعضهما البعض في المساحة الصغيرة التي تفصل بين كرسيهما، أعصابها اهتزت لقربه منها وكأنه شعر بالذعر الذي اندلع داخلها فقد ابتسم بتهكم وتركها تبتعد عنه بسرعة وارتباك.

«أنا أؤمن بالكلام الصريح، عندها يعرف كل واحد أين يقف، لكن دعينا نعود الى الموضوع الذي كنا نناقشه». تابع كأن شيئاً لم يحدث: «سأقوم بكل الترتيبات الضرورية ليتم زواجنا يوم السبت المقبل».

«السبت المقبل؟ لكن هذا سريع جداً!!» صرخت مصارعة الشبكة التي أخذت تلتف حولها بسرعة رهيبة: «هذا بعد أسبوع فقط من الآن، وأنا لا...

«من الآن وصاعداً أنا من سيقرر الأمور» قاطعها بحدة وبنظرة واحدة اليه أدركت فرانشيسكا كم من السهل عليه ان يجبرها على الإنصياع لإرادته.

«ماذا تعتقد ان عمتي ستقول حين أطلعها على خبر زواجنا الصاروخي هذا؟». حاولت مجدداً.

«عليك اقناعها ان الأمر ليس مفاجئاً كالطريقة التي يظهر بها، واتركي الباقي لي».

شعرت فرانشيسكا بجفاف حلقها وابتلعت ريقها بصعوبة: «سيد ستيفان...».

«جيرارد» قاطعها مجدداً: «عليك البدء بمناداتي جيرارد اذا أردت ان تكوني حقاً مقنعة».

عدم واقعية الوضع الذي وجدت نفسها فيه فجأة ضربتها كحد

المطرقة لتحمي عمتها ماريللا قد وضعت نفسها تحت تصرف جيرارد ستيفان وهو ينوي ممارسة سلطته وتحكمه بها الى أقصى حد.

أغمضت عينيها للحظة متحاشية نظرات عينيه الفاحصة الخارقة وهمست بتوسل: «أرجوك قل لي أنني أتخيل كابوساً مرعباً وأن ما يحدث هو غير حقيقي؟».

لم تريد ان تتفوه بأفكارها بصوت مسموع وتوقعت نوعاً ما أن يتهكم ويسخر بها لكنها لم تكن بالطبع متحضرة للقوة الساحقة لشفتيه على فمها. الإنذار أطلق داخلها لكن قبل ان تقوم برد فعل كانت قد تحررت.

«هل هذا جعل الأمر أكثر واقعية لك؟».

رأسها يدور وجهازها العصبي في فوضى كاملة تمسكت بشدة بحافة الكرسي حتى تمنع نفسها من السقوط وغرزت أظافرها في الجلد السميك وقالت بغضب: «هذا لم يكن ضرورياً».

«عليك ان تعتادي على قبلاتي وكلما كان أسرع كلما كان أحسن» أمرها بقسوة وهو يحمل حقيبة يدها ويناولها لها وهو يرافقها نحو الباب ويتابع: «قد لا ترغبين بتناول الطعام الآن والأفضل ان آخذك غداً لنشتري خاتم الخطوبة سأمر لاصطحابك من العمل في الثالثة ظهراً».

احتجاجاتها ماتت على شفتيها حين حدق بها بقوة وحدة ومشت بجانبه بصمت فيما هما يغادران الفندق الضخم.

أوصلها الى منزلها وهي بحالة من الذهول والغربة. لا تعرف كيف مر يومها ذلك ولم تشعر الا وهو ينتظرها ظهر اليوم التالي خارج المصرف ليصطحبها الى محل المجوهرات.

لم تستغرب أبداً حين فتح لها باب سيارة بورش حمراء وساعدها على الدخول. فرجل مثل جيرارد ستيفان لا بد وسيملك سيارة فخمة تقدم له السلطة والرفاهية البارجة كان يستعمل سيارة أجرة بسائق لكنه اليوم يقود سيارته بنفسه.

ظل الصمت مسيطراً عليهما وهما في طريقهما الى وسط المدينة استطاعت فرانشيسكا ان تلمحه وتدرسه عن قرب خلسة بالطبع.

كانت يداه القويتين مثبتتين على المقود وتظهران بوضوح ثباته وسيطرته الكاملة على كل ما يريد. ذقنه كانت شامخة وأنفه ووجهه كانا كأنهما قد نحتا من البرونز وفمه وشعرت مجدداً بقسوة فمه السابقة على شفتيها، القسوة التي لا بد وستختبرها مجدداً بكل مراحلها من أجل عمتها ماريللا فقط.

- ٣ -

النصف ساعة التالية كانت جزءاً لا يتجزأ من الكابوس الذي كانت تعيش به وشعرت بالدوخة من شدة لمعان الأحجار الكريمة التي كانت تعرض عليها. لو ان الوضع طبيعي لكانت الآن بأسعد لحظات حياتها تختار خاتم الخطوبة الذي سيربط حياتها بالشخص الذي اختارته ليكون شريكها.

لكن الآن... نظرت اليه وقالت: «هل هذا حقاً ضروري؟».

«انه ضروري جداً» أجابها وفمه يتقلص قليلاً: «رجل في مثل مركزي لا يخطب دون ان يشتري لخطيبته خاتم خطوبة».

«لكن...».

«أعطيني يدك».

كان هذا أمراً ووجدت نفسها تطيعه ببعض التردد، لكنها وجدت صعوبة في تفسير الإحساس الذي لف ذراعها فيما استراحت يدها

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الصغيرة داخل راحته الدافئة.

فيما كان جيرارد يدرس يدها وعلبة الخواتم الموجودة بجانبه أخذت هي تدرسه بدورها، تنقلت نظرتها على حاجبيه السوداوين الكثيفين ورموش بعناية الى الخلف وبدهشة لاحظت وجود بعض الشعيرات البيضاء داخل شعره، اذن فهو ولا بد، في أواخر ثلاثيناته لكن فكرة مشيب رجل مثله يتمتع بكل هذه الرجولة والجاذبية بدت غير مقبولة لها.

«هذا يفي بالغرض» قاطع جيرارد أفكارها واستجمعت نفسها ونظرت الى يدها لتجد داخله خاتماً رائعاً يبعد التردد عن أي قلب ويزرع مكانه السعادة والإعجاب. فيروزة ضخمة في الوسط وبجانبها ثلاث أحجار من الألماس الأبيض الأصغر حجماً. حبست فرانشيسكا أنفاسها مدركة ان عليها ان تقول شيئاً لكنها لم تستطع.

«الفيروز يتماشى من لون عينيك» علق جيرارد مفاجئاً بملاحظته هذه.

«انه جميل» همست بصوت مرتجف مدركة انه يفتش على عينيها لكنها أبقت نظرها منخفضاً خوفاً من رؤية السخرية داخل عينيه.

شعرت باللحظات تستمر دون نهاية وأخيراً سمعته يقول للبائع: «سنأخذه... وكذلك سنأخذ خاتم الزفاف».

خاتم الزفاف! آه، يا الله!... ألن تحصل أي معجزة وتخلصها من هذا الزواج الذي تدفعها الظروف اليه غصباً عنها؟ لو ان والدها لم يقامر في سوق البورصة، لو ان... لو ان... كلها كلمات دون معنى وفارغة ولن تؤدي الى شيء.

شعرت كأن الحذر والإحباط قد خدرا حواسها فلم تشعر الا وهي تجلس في السيارة وجيرارد يشد لها حزام الأمان ولم تحاول النهوض بنفسها من هذه الحالة الا حين دخلت سيارة البورش ممر منزلها.

«من الأفضل ان نرى عمتك الآن وننتهي من هذا الأمر» قال بصوته الآمر.

تمكنت فرانشيسكا من القول: «و... ولكن... لقد قلت ان

علي رؤية عمتي وحدي لأشرح لها الموضوع و...».

«لقد غيرت رأيي من الأفضل ان أكون موجوداً» قال باختصار وهو يتأبط ذراعها ويرافقها الى الباب الرئيسي.

ويدها على مقبض الباب الخشبي الضخم ترددت فرانشيسكا وقالت: «سيد ستيفان...».

«جيرارد...».

«سأتصرف كالخطيب العاشق الملهوف فلا تجزعي» قاطعها مخمناً بدقة مربكة ما كان سبب ترددها ومتمتعاً بزيادة إذلالها حين تابع: «فقط تأكدي من ان تجاوبك معي سيكون بنفس الطريقة».

بوجنتيها تشتعلان وظهرها متصلب من الغضب فتحت فرانشيسكا الباب ودخلت لتفاجأ بوجود عمتها الجالسة على كرسيها والواضعة بساطاً على قدميها في الحديقة الداخلية.

«عمتي ماريللا...» بدأت فرانشيسكا هادية من الدائرة المزعجة لذراع جيرارد حولها الى قرب عمتها وأكملت: «أود ان أعرفك بجيرارد ستيفان».

«جيرارد ستيفان؟» رددت العمة ببطء وعينيها اللامعتان تنظران الى الرجل الواقف أمامها: «لقد سمعت هذا الاسم من قبل. عندك علاقة بشركات ماجيك الاستثمارية، أليس كذلك؟».

«صحيح تماماً سيدة برديل» أجابها جيرارد مقترباً ليمسك بيدها التي امتدت نحوه وحدقت فرانشيسكا بدهشة بالتغيير الذي حدث للرجل. فقد استراحت ملامحه الصلبة وابتسم ابتسامة رائعة ساحرة بشكل خطر وتسارع نبض فرانشيسكا بطريقة غريبة.

سحب جيرارد كرسيه وقربه من فرانشيسكا ورفعت نظرها اليه شاكرة لكنها بالكاد أخفت ارتباكها حين أحنى نفسه قربها وأحاط كتفيها بذراعه، وجفت حنجرتها ورأت صعوبة في التركيز على ما كانت تقوله عمتها.

«ما الذي أتى بك الى منزلنا برفقة فرانش، سيد ستيفان».

«عمتي، جيرارد وأنا...» بدأت فرانشيسكا الحديث لكنها لم

تستطع ان تتابع ما كانت تنوي قوله.

«ما الذي تحاول فرانشيسكا ان تقوله سيدة بردويل» جاء جيرارد لنجدتها: «هو أننا قد أصبحنا خطيبين وأننا نرغب في مباركتك».

«خطيبين؟» وعكس صوت العمة الدهشة وهي تنظر اليهما: «فرانشيسكا، انت لم تعطني أي تلميح ان عندك مخططات كهذه؟».

«لقد... لقد حصل الأمر فجأة، جدتي» شرحت فرانشيسكا فوراً.

«فجأة؟».

تدخل جيرارد لنجدتها مجدداً وقال: «فرانشيسكا تقصد أننا عرفنا منذ لحظة التقائنا أننا قد خلقنا لبعضنا البعض، أليس كذلك فرانشي؟».

أصابعه كانت تداعب كتفها كإظهار للحب بينهما فمنعها هذا للحظة من التكلم لكن عدم تجاوبها معه ولحسن الحظ لم يلاحظه أحد.

«ومتى، اذا سمحتما لي بالسؤال. سيكون موعد زفافكما؟».

«السبت القادم» قال جيرارد بثقة.

«فرانشيسكا؟» جاءها صوت عمتها المستغرب المتسائل: «هل هذا ما تريدين؟».

رفض سريع تلاعب على شفتيها على ضغط أصابع جيرارد على رقبتها كان كالتحذير.

«نعم، عمتي» همست وتدبرت نوعاً ما ان تنظر الى جيرارد وأن تبتسم له متظاهرة بالحب لكن الغضب اشتعل داخلها حين رأت نظرة الانتصار داخل عينيه.

صمت مزعج سيطر للحظة ووجدت فرانشيسكا نفسها ممزقة بين رغبتها القوية في اقناع عمتها وإبعاد أي شك عنها بالنسبة لها ولجيرارد وبين تصميمها على حماية المرأة المسنة من أي صدمة جديدة.

«كل ما تبقى، اذن، هو ان أهنئكما وأتمنى لكما السعادة» وضحكت عمتها أخيراً ومدت يداها نحوهما ترنحت فرانشيسكا بخطورة بين الضحك أو الدموع.

دعيت الممرضة فيونا بعد قليل وهي والعمة تحمستا للخاتم الجميل. أحضر الشاي الى الحديقة وسكبته فرانشيسكا ومن لاحظ ارتجاف يدها وهي تقدم الكوب الى جيرارد سيعتقد دون شك ان سبب هذا هو القلق العادي الذي يسبق الزفاف الذي كان موضوع المحادثات.

فرانشيسكا نفسها لم تسمع الكثير مما كان يقال لكن حين أخيراً ودع جيرارد عمتها أدركت انه قد نال استحساناً وإعجاباً من قبل المرأة العجوز.

رافقته فرانشيسكا الى الباب لكن يده أسرعت بالإحاطة بخصرها قبل ان تفتح الباب له.

«أفترض ان علينا ان نودع بعضنا هنا كما يتوقع منا» قال لها بنعومة فيما رفعت عينيها اليه بتساؤل وشعرت بخديها يشتعلان من جراء قوة نظرته.

«هل يهم الا نتصرف حسب الطريقة المتوقعة منا؟» سألته وحررت نفسها منه مبتعدة عنه بضعة خطوات.

نظرة جيرارد أصبحت فوراً ساخرة وهو يقول بصوت منخفض: «في الوقت الحاضر يجب ان نعطي الانطباع بأننا نتصرف بالطريقة المتوقعة منا... اذا لا زلت تريدين ان تقنعي عمتك» وأضاف بابتسامة متصلبة أرسلت الرعب داخلها: «بعد زواجنا لن يكون هناك أي داع للتظاهر».

ماذا قصد بالضبط بتلك الملاحظة فرانشيسكا لم تستطع التكهن لكن كان هناك طوق لامع حول كلماته لكنه لم يستطع ان يخفف من توترها من جراء وقوعها في قبضته.

«سأتصل بك مساء اليوم فكوني جاهزة في الثامنة تماماً» قال باختصار ثم أبعدها كأنها كومة بلا قيمة تعترض طريقه وخرج مغلقاً الباب وراءه بهدوء وبطء متعمد. وظلت تستمع لصوت خطواته على الشرفة البلورية ثم صوت محرك سيارته الذي اشتعل ثم ابتعد سريعاً.

نظرت الى خاتم الخطوبة في يدها وشعرت بالغرابة فلو ان أحدهم

أخبرها صباح اليوم انها ستكون مخطوبة لجيرارد ستيفان قبل انتهاء النهار لكانت ضحكت بهزء لكن ها هو الخاتم اللامع يثبت لها هذه الحقيقة.

سحبها صوت عمتها المنادي عليها من أفكارها وسيطرت على مشاعرها وأسرعت نحو عمتها وهي تبتسم وقالت: «أنا آسفة لأنني تأخرت في الصالة عمتي».

«عندما يكون المرء واقعاً بالحب فكل فراق مهما كان قصيراً يكون عذاباً وألماً».

اذن تظاهر جيرارد قد نجح فكرت فرانشيسكا بارتياك. ومنعها من فتح الباب فوراً قد أعطى عمتها والممرضة فيونا الانطباع بأنهما كان يودعان بعضهما بالعناق والتقبيل كأي عاشقين. وآخذين سكوتها على انه موافقة تبادلتا المرأتين النظرات والابتسامات الخبيثة وكأنهما كانتا تتذكران شيء ما من أيام شبابهما.

«تعالي الى هنا أيتها المحتالة واطلعيني على كل ما حدث، لا أعرف متى تعرفتما على بعضكما البعض، كيف وقعتما بالحب هيا تعالي وأخبريني» قالت العمة بمرح وهي تشير لفرانشيسكا للقدوم والجلوس الى جانبها.

أطاعتها فرانشيسكا وأجبرت نفسها الى القول: «لقد صادفت السيد... جيرارد قبل أسبوعين حين تعطلت سيارتي بعد مغادرتي للعمل، لقد ساعدني بتبديل الاطار وحين شكرته قال انه شكري له يجب ان يكون موافقتي على تناول القهوة معه. فعلت ذلك وقضينا حوالي الساعة ونحن نثرثر حول العديد من الأشياء. ويبدو انه كان يعرف... يعرف والدي بسبب العمل وحين انتهى اللقاء تواعدنا على موعد آخر وهكذا» كانت تتكلم وعيونها مركزة على يديها المتشابكتين بحضنها لتداري كسوفها من اضطرارها للكذب فقط لحماية عمتها الحبيبة والوحيدة المتبقية لها في هذا العالم.

«هكذا اذن لقد جعل جيرارد الكثير من وراء عمله الانساني بمساعدة شابة جميلة على تغيير اطار سيارتها» قالت العمة بمرح.

«هل ستخرجان سوياً هذا المساء أيها الخطيبين؟» سألت فيونا بغمزة خبيثة للعمة ماريللا.

ابتسمت فرانشيسكا دون مرح وقالت: «أجل، سيأتي لاصطحابي في الثامنة مساءاً».

يبدو انه قد فكر بكل شيء ليزيد من قناعة المرأتين بحبهما المزعوم، فكرت فرانشيسكا وهي تصعد الى غرفتها بعد ان اعتذرت من عمتها حتى تصعد وتستعد لعشاء المساء.

رمت بنفسها الى السرير وحدقت بالخاتم الضخم بأصبع يدها اليمين! هل هذا حقيقي ويحدث فعلاً؟ انها فريسة بشركه طالما انه يحتفظ بصك الرهن الذي يستعمله كالطوق المسلط على رقبتها. حركة خاطئة واحدة وسينفذ وعيده وتكون هي السبب بموت أو على الأقل شلل وتعذيب عمتها الحبيبة. لا، عليها الاستسلام لكل طلباته الى ان تجد فرصة لسرقة صك الرهن هذا أو أخذه منه بأية طريقة ممكنة.

استحمت وارتدت ثوباً مخملياً أسود اللون منخفض الصدر وضيق نحو الأسفل. لم تشأ تجميل نفسها لكنها اكتفت بوضع بعض أحمر الخدود ومسحة من تلوين الشفاه وحين دق الباب في الساعة الثامنة تماماً كانت فرانشيسكا تضع قرطاً ناعماً من الألماس في أذنيها.

نزلت الى الطابق السفلي وأدخلت مدبرة المنزل جيرارد الى غرفة الصالون حيث كانت العمة ماريللا موجودة.

«انت دقيق جداً بالمواعيد» قالت فرانشيسكا أول جملة خطرت على بالها فور وصولها الى الغرفة ورمته بابتسامة مرحبة حين رأت عمتها في الغرفة. فما كان منه الا ان اقترب منها مادا ذراعيه نحوها وطبع قبلة سريعة على جبينها كأنه عاشق ولهان وقال: «وكيف أستطيع ان أتأخر عن موعدي معك يا حبيبتي».

ابتسمت العمة لهما وقالت: «هيا اذهبا واستمتعا بوقتكما فهذه لحظات ستحفر في ذاكرتكما طالما أنتما أحياء».

«لحظاتي مع فرانشي ستكون دوماً حية داخلي وستمدني بكل

السعادة والفرح» قال جيرارد وهو يحيط بخصر فرانشيسكا المندهشة ويتجه بها نحو باب الخروج.

«الى اللقاء عمة ماريللا أعدك أنني لن أتأخر بإعادتها سالمة لك».

«الى اللقاء عمتي» سمعت فرانشيسكا نفسها تقول قبل ان تصبح خارج المنزل ومتجهة نحو سيارته.

فتح لها الباب وأجلسها ثم استدار الى مقعده.

«هل من الضروري إظهار كل هذا الكذب والتمثيل أمام الجميع؟» سألته بحدة فور جلوسه.

نظر اليها باستمتاع وقال متجاهلاً كلماتها: «هل أخبرتك ان اللون الأسود يليق بك كثيراً فرانشي؟».

«لا تناديني بهذا الاسم بحق السماء» قالت بغضب.

«عيونك تبرق بسحر كلما تغضبين لربما من الواجب ان أجعلك غاضبة معظم الوقت» قال ضاحكاً وهو يدير السيارة وينطلق بها.

شعرت فرانشيسكا بالاسترخاء أثناء العشاء رغماً عنها فهو كان يبدو ساحراً وجذاباً حين يريد كان يحدثها بخفة ورقة ويطلعها على العديد من الأشياء التي لم تكن تعرفها عنه من قبل. فقد أدركت ان والدته فرنسية قبل ان ينتقل وعائلته الى فلوريدا حيث ركز الوالد عمله. كان هو الولد الوحيد للعائلة وقد نشأ بدلال ودرس بأهم جامعات أمريكا واستلم شركات والده حين كان بسن الثالثة والعشرين».

«لا شك ان هذا كان أمراً شاقاً، قالت فرانشيسكا: «تحمل مثل هذه المسؤولية الكبيرة بمثل هذا السن المبكر».

«كان الأمر ليكون بالغ الصعوبة لولا وجود والدي قربي وكان يساعدني دوماً الى ان اعتدت على تدبر كل شيء بنفسي».

«وهل... والديك لا يزالان على قيد الحياة؟» سألت بتردد وهي تشعر بالسخرية لقلة المعلومات التي تعرفها عنه.

«أجل انهما كذلك وهما يقضيان أيامهما برحلات تنزه واكتشاف بجزر الهند الصينية الآن وغيبتهما قد تطول لعدة أشهر» قال والتمعت عيونه بحب وهو يذكر والديه. فتساءلت فرانشيسكا لكم من الممكن

ان يكون هذا الرجل حساساً ورقيقاً حين يريد ذلك. ترى هل سيكون حساساً ورقيقاً معها هي بعد... بعد الزواج؟؟.

مر الوقت بسرعة ووجدت فرانشيسكا انها حتى كانت تضحك بعد قليل للحديث المرح الذي كان يقوله. حين عادا الى المنزل وأوقف جيرارد السيارة بالمدخل المظلم عاد التصلب ليسيطر على فرانشيسكا مجدداً لإدراكها مدى اقتربه منها. أخذ يداعب شعرها برقة ثم تسلل بأصابعه الى مؤخرة رقبتها وربما ترقب.

«أرجوك يجب ان أنزل» قالت بتلعثم وهي تحرك حزام أمانها بيد مرتجفة.

«حسناً، بإمكانك ان تهربي الآن فرانشي الجميلة لكن تأكدي ان هربك لن يكون مطولاً» قال بضحكة خبيثة ورماها بقبلة في الهواء حين أصبحت خارج السيارة وقال: «تصبحين على خير فرانشيسكا. سأتصل بك يوم الاثنين».

كان كيانها كله يرتعش لسبب تجهله وحين وصلت الى سريرها وجدت نفسها تلامس مكان أصابعه على رقبتها ما هو مصيرها بقرب هذا الرجل البالغ الخطورة والرهبة؟.

كان موقفاً مربكاً هذا الذي وجدت نفسها به والأكثر ارباكاً من كل شيء هو تأثير نظرات وملامسات هذا الرجل لها. انه يثير بها أحاسيس لم يسبق لها وشعرت بها. إثارة وبدايات رغبة ربما. انه رجل غريب يثير الرعب والإثارة بداخلها بنفس الوقت. انها تعرف انه هكذا وأنه قادر على فتن أكثر النساء سحراً فليس من المستغرب اذاً ان تجري النساء وراءه، على فرانشيسكا الاعتراف لنفسها انها حتى هي ليست منيعة ضد سحره وجاذبيته ولهذا فعليها ان تكون حذرة جداً في المستقبل.

أشرق صباح اليوم التالي واستيقظت فرانشيسكا وشعور الانزعاج مسيطر عليها وحين تراءى خيال وجه جيرارد ستيفيان أمام ناظريها أدركت سبب الانزعاج هذا.

كانت تتناول طعام الفطور حين سمعت صوت سيارة تتوقف في

www.elromancia.com

الخارج. انقبض قلبها وانحشرت اللقمة في حلقها لاعتقادها ان القادم قد يكون جيرارد. لكنه أخبرها انه سيتصل بها يوم الاثنين واليوم هو الأحد. جاءها الرد عن تساؤلها بسماعها لصوت آلان الذي وصل اليها بسرعة وبادرها فوراً: «فرانشيسكا هل ما سمعته صحيح؟ هل تمت خطوبتك على المدعو جيرارد ستيفان حقاً؟».

«أهلاً آلان إهدأ كيف عرفت بذلك؟» سألته بدهشة.

«لقد اتصلت بك البارحة مساءاً وأخبرتني عمتك انك وخطيبك السيد جيرارد ستيفان تتناولان العشاء سوياً، هل خطبت فعلاً لجيرارد ستيفان؟».

تلعثمت فرانشيسكا غضت بصرها قائلة: «أجل، آلان، هذا صحيح».

«لكن، كيف، كيف تفعلين ذلك فرانشيسكا، ماذا عني أنا؟».

«أنا لم أعدك بشيء آلان ولطالما أخبرتك انك خير شقيق لي و...».

- ٤ -

ظهر الألم داخل عيونه البنية فسارعت فرانشيسكا متابعة برقة: «لقد كان علي اطلاعك على ذلك قبل هذا الوقت ولكن، سامحني آلان لقد حدث الأمر بسرعة و...».

«بسرعة؟!» قاطعها بدهشة.

«أقصد لقد اتخذنا قرارنا بسرعة ولم يكن عندي الوقت لأخبرك بذلك».

«منذ متى تعرفينه؟».

«منذ عدة أسابيع» قالت بسرعة.

«ومتى سيكون الزفاف؟».

«في الأسبوع القادم».

نهض آلان على قدميه كمن مسته الصاعقة: «بحق الله فرانش، أتمازحينني أم ماذا تفعلين، تعرفينه منذ عدة أسابيع فقط توافقين على

www.elromancia.com

خطوبتك له رغم قصر المدة والأدهى من هذا كله ستتزوجينه بعد أسبوع. بربك أتدركين ماذا انت فاعلة؟».

«أعتقد ذلك، نعم» ردت بهدوء أثار دهشتها هي فوقف آلان وأخذ يحدق بها بعدم تصديق.

«نظراً لما يعرفه الجميع عن هذا الرجل فأنا أستغرب كيف انه لم يحملك معه الى أحد أماكنه السرية الكثيرة دون الارتباط معك بقيد الزواج كما يفعل مع نسائه عادة».

احمرت وجنتا فرانشيسكا من الحزن الذي ظهر بصوته وقالت: «آه، آلان، أرجوك لا تقل هذا».

«لجيرارد ستيفان شهرته المعروفة بين النساء».

«أعرف ذلك».

«ولا تزالين مصممة على الزواج به؟» سألها والذهول يرتسم بأوضح حلة على كل ملامح وجهه.

أخذت فرانشيسكا تتلاعب بخاتم خطوبتها بعصبية واضطراب وقالت: «أجل».

«انت غير معقولة» قال بمرارة واستسلام.

«آسفة آلان».

«ما يهمني الآن هو سعادتك الا تعتقدين انك قد تسرعت بقبولك الزواج من هذا الرجل؟».

أطرقت للحظات قبل ان تسمع نفسها تقول: «كلا، لا أعتقد ذلك».

«هذا كل ما أحتاج لمعرفته الى اللقاء فرانشيسكا أتمنى لك السعادة من كل قلبي واذا ما احتجت بأي يوم لصديق حقيقي فلا تترددي بالاتصال بي على الفور».

طبع قبلة سريعة على جبينها ثم رحل وأدركت فرانشيسكا انها لن تراه لفترة طويلة.

صباح اليوم التالي كانت كلما دق جرس الهاتف يهرع قلبها منها وأخيراً اتصل بها جيرارد وقفز قلبها الى حلقها حين سمعت صوته

العملي الحازم ولم تستطع التفوه بأي كلمة للحظات.

«هل لا تزالين على الخط، فرانشي؟» سألها ونبرة التسلط في صوته فعلت فعلها على أعصابها الصوتية.

فتمتمت بتلعثم: «نعم، أ... أنا لا أزال هنا».

«جيد» قال واستطاعت فرانشيسكا ان تتخيله ونظرة الاكتفاء داخل عينيه: «آمل انك لم تواجهي أي مشاكل أثناء تقديمك لاستقالتك؟».

«لقد تدبرت أمر ألا أواجه أي مشاكل» قالت بسرعة وهي تلف شريط الهاتف حول أصبعها وتتمنى لو كانت رقبته مكان الشريط.

«هل ألاحظ نبرة من الغضب في صوتك؟».

«نعم انه كذلك، فأنا قادرة تماماً على انهاء شؤوني دون تدخلك، شكراً لك».

«شؤونك هي شؤوني، فرانش، هذا أمر عليك الاعتياد عليه عندما نتزوج».

«نحن لسنا متزوجين بعد!» قالت وقد أشعل كلامه غضبها أكثر.

«فرانشيسكا» قال بنبرة حادة وكأنه يعنفها ثم ترد قليلاً وتابع بلهجته العادية: «يجب ان أحضر اجتماعاً بعد دقائق عدة، فدعينا لا نضيع الوقت. لقد قمت بالترتيبات اللازمة لنا لنعقد زواجنا بهدوء الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الأحد في الكنيسة القريبة من منزلك. سكرتيرتي قد قامت بحجز موعد لك عند لورنزو بين الثانية والثالثة من بعد ظهر اليوم ولورنزو يعرف تماماً نوع وشكل ثوب الزفاف الذي أريد».

«ثوب الزفاف؟» رددت بغباء.

«هل ظننت أنني سأرضى بأن لا ترتدي عروستي ثوب زفاف أبيض كما يحصل في الأعراس التقليدية؟» صوته كان يسخر منها.

«لكن زواجنا ليس... أعني...» ولم تستطع ان تكمل وكانت شاكرة انه لا يستطيع ان يرى خداها المتوردان.

«سبب زواجنا قد يختلف قليلاً عن السبب العادي للزواج لكنه سيكون زفافاً كأي زفاف آخر وقد أوضحت لك هذا تماماً. ألم

www.elromancia.com

أفعل؟».

التذكير كان غير ضروري ونوعاً ما قاسي، جاعلاً اياها تشعر بشكل مؤلم ان عليها عدم توقع الرحمة منه متى أصبحت زوجته. سيأخذ ما يعتبره حقه الكامل وتعويضه عن تأجيله لبيع المنزل دون أي اعتبار لمشاعرها وأحاسيسها.

«ألم أفعل فرانشيسكا؟» سألها بقسوة قاطعاً الصمت الذي سيطر بينهما.

«نعم، لقد فعلت» اعترفت وقررت ان لا تدعه أبداً يخمن مدى خوفها ورعبها منه.

«هل هناك شيء آخر؟».

«لو أننا نؤجل موعد الزفاف قليلاً حتى...».

قاطعها قبل ان تتابع: «قلت الأحد القادم أي الأحد القادم».

«أعتقد أنني بدأت أكرهك» قالت له وصوتها يرتعش من الغضب وعدم الحيلة المكبوت داخلها.

«جيد» أجاب: «سأتصل بك في الثامنة من مساء اليوم وفيما سنكون نتعشى في مكان ما سأخبرك ببقية مخططاتي».

وأغلق السماعة قبل ان تتمكن من الرد عليه ووجدت نفسها ترتعش بقوة وهي تضع السماعة مكانها وكان من الصعب عليها اكمال أعمالها لليوم لكنها تدبرت هذا ووجدت نفسها دون وعي تنفذ أوامر جيرارد رغم ترددها واتجهت الى محل لورنزو.

رحب بها السيد لورنزو بحرارة واتجه فوراً الى أحد الخزائن المخفية الضخمة وتناول منها ثوباً حريرياً أبيض ناولها اياه وقال: «أعتقد انك ستحبين هذا، واذا تبعتني من فضلك فستتمكني من ارتدائه وتجربته».

تبعت فرانشيسكا السيد لورنزو الى غرفة القياس وهي صامتة. لكن حين شعرت بنعومة القماش على جسدها انتابها شعور بالبهجة لم تستطع نكرانه. موديل الثوب كان رائعاً بقماشه الحريري الطويل المنسدل حتى الأرض وبالدانتيل الثمين الذي يتماوج على الصدر

والأكمام.

الأكتاف والرقبة كانت عارية وبعقد ألماسي ناعم اكتمل اللباس ونظرت فرانشيسكا الى نفسها في المرآة واندهشت. كانت تبدو كفتاة غريبة تماماً، جميلة ورائعة القوام بالثوب الأبيض الناصع الذي يظهر شباب ونضارة جسدها وكانت عيناها الزرقاوين متوسعتين ومتكدرتين للأفكار التي كانت تدور في رأسها. لكنها أدركت ان عليها ان تظهر الفرح والسعادة.

فابتسمت قليلاً وقالت: «انه جميل جداً».

طاطأ لورنزو رأسه برضى وعيناه السوداوين تمدحان فرانشيسكا بطريقة ناقدة وقال: «يبدو وكأن الثوب قد فصل خصيصاً لك يا عزيزتي، وليس من الصعب رؤية الشيء الموجود فيك والذي جعل أخيراً رجل مثل جيرارد ستيفان على تسليم قلبه لك».

فرانشيسكا لم تحاول الاجابة لكن فيما كانت ترتدي ملابسها لاحقاً في المساء استعداداً للخروج بصحبة جيرارد تذكرت تعليق السيد لورنزو هذا وابتسمت بمرارة. جيرارد ستيفان لم يكن يملك قلباً ليسلمه لأحد. رجوليته كانت تتطلب انجاز رغباته والظروف قد وضعتها في طريقه وجعلتها هدفاً لرغباته الجسدية هذه بسبب حبها لعمتها وللمنزل الذي قضت عمرها فيه.

توقفت سيارته قرب المدخل وأطفأت مصابيحها وأسرعت فرانشيسكا وثوبها الشيفون الفيروزي يحتك بقدميها وهي تسرع للقاء جيرارد في الصالة.

انتفض قلبها بسرعة لدى رؤيته بسترته السوداء الرسمية التي تزيده سحراً وجاذبية وشعرت بالارتياح حين اقترح رحيلهما الفوري. في ظلام السيارة ستتمتع على الأقل ببعض الحماية من نظرات عينيه الحادتين.

كانا يتجهان الى مطعم صغير وهادي، في ضواحي المدينة حيث سيكون بإمكانهما التمتع ببعض الخصوصية. هذا ما قاله لها بعد ان سألته بتلعثم عن مكان اتجاههما. استقبلهما صاحب المطعم كمن

يستقبل أصدقائه وقدم لهما نبيذاً ولا شك ان جيرارد قد أمر به قبل وصولهما.

احتست فرانشيسكا من كأسها فيما كان هو يحدق بقائمة الطعام ويختار لهم العشاء، لكن مواجهتها لجيرارد عبر الطاولة المضاءة بالشموع جعلت فرانشيسكا تفقد شهيتها ووجدت نفسها غير قادرة على تناول أي شيء من الطعام الشهي واللذيذ الذي أحضر لهما وظلت فقط تحرك شوكتها وتغير نظام الطعام داخل صحنها.

نظر جيرارد اليها مرتين أو ثلاث لكنه تابع تناول عشاءه بصمت.

«المزيد من الشراب؟» سألها بعد ان أبعدت الصحون.

«كلا شكراً».

تناول سيجارة من العلبة الذهبية من جيب سترته وسألها: «هل تمانعين اذا دخنت؟».

«افعل ما يسعدك» قالت بتصلب.

«سيسعدني أكثر لو انك استرخيت أكثر بدلاً من الجلوس هكذا وكأنك خائفة من أنني سأغويك في السيارة أثناء عودتنا الى البيت» قال بهدوء وهو يشعل سيجارته.

تمنت فرانشيسكا لو ان الأرض تنشق وتبتلعها لكنها قررت عدم جعله يرى القدر الذي أحرجها به ونظرت اليه وقالت: «أنا لا أعتقد انك من نوع الرجال الذين يختارون السيارة كمكان للإغواء».

«انت محقة تماماً» أجابها بنعومة وعينيه تلتمعان بشكل خطير على ضوء الشموع: «في عمري الحالي أنا أفضل مكان أكثر راحة لأقوم بمثل تلك المتعة فباستطاعتك اذن الاسترخاء والاطمئنان».

«انت بالطبع لا تتوقع مني الاسترخاء في حين أنني على وشك الزواج من رجل غريب عني تماماً مثلك، ألست كذلك؟».

«انت غريبة بالنسبة لي أيضاً، لا تنسي هذا» ذكرها بسخرية: «ومع ان فكرة الزواج لم تكن تروق لي لكني لا أستطيع القول أنني أجد الفكرة منفرة تماماً».

«بالنسبة لرجل الأمر يختلف» جادلته غير قادرة على تحمل نظرته

لفترة أطول.

«كيف؟».

بدا فرانشيسكا تصلبتا وارتبكتا في حضنها: «انت تطلب الكثير الكثير مني، وأنا... وأنا لا أعتقد أنني أستطيع الاستمرار بهذا».

«اذن أفهم من هذا ان علي ان أتصل بمحامي في الصباح وأطلب منه المباشرة في اجراءات بيع المنزل؟».

«كلا» وارتفعت عينيها اليه فوراً ونظرة الخوف داخلها واضحة: «انت تعلم جيداً أنني أريد تحاشي حصول هذا الأمر بأي ثمن، لكن لو أنني أقدر فقط ان أفهم منطقك! لماذا انت تصر على وجوب زواجي منك؟».

«هل تريدين حقاً ان تعرفي؟» سألها وعينيه تتفلصان خلف سحابة دخان سيجارته.

«نعم... نعم أريد».

«روحك اللطيفة الصغيرة لن تحب سماع ما سأقول» قال لها محذراً لكن فرانشيسكا كانت واثقة ان شيئاً لن يصدمها مهما كان.

«لا شيء في هذا الأمر كله يحلو لي» قالت بتصلب: «لكن أخبرني السبب على كل حال».

نفض جيرارد رماد سيجارته وانحنى نحوها عبر الطاولة وضوء الشموع يعطيه منظراً شيطانياً وهو يمسك بنظرتها دون أي جهد.

«منذ اللحظة التي رأيتك فيها تقفين على عتبة منزل والدك حين فتحت لي الباب، شعرت أنني أرغب بك وأريدك، وحين رأيتك ثانية في ذلك اليوم صممت على انه يجب علي الحصول عليك بطريقة أو بأخرى».

تصريحه الجريء جداً هذا كان أمراً واقعياً تماماً كما يعجب المرء بأي شيء داخل أي واجهة ويصمم على الحصول عليه، لكن هذا الأمر هز فرانشيسكا بشدة وبعد عدة لحظات طويلة تمكنت ثانية من النطق.

«لا أعتقد انه قد خطر لك ان رغبتك الأنانية هذه قد تحطم حياتي

www.elromancia.com

بأكملها؟».

«يا لها من فكرة أنثوية متكررة» سخر منها وهو يلوي فمه: «ألم تدركي بعد انه بعد انتهاء زواجنا وبعد نيلي لمأربي منك تكونين قد دفعت دين والدك كاملاً وانك ستكونين قد مرست سلامة وصحة عمتك؟».

«أنا أدرك هذا» قالت بمرارة: «لكني سأكون قد خسرت أثناء هذا احترامي لذاتي».

«لكنك ستكتسبين الكثير» أضاف بنعومة.

ناقش جيرارد معها الترتيبات التي قام بها وأخبرها أيضاً انهما سيقضيان عشرة أيام في باريس بعد زفافهما مباشرة. بدا الأمر مرعباً ومخيفاً لفرانشيسكا لكن ما كان يخيفها أكثر في هذه اللحظة طريقة تجاوب نبضها لنظراته.

متشوقة للهروب من هذا الرجل ومن تأثيره الذي بدأ يزداد عليها استغلت أول فرصة مناسبة وسألته وصوتها يرتعش: «أظن أنني أريد العودة الى البيت الآن اذا لا تمانع».

«كما تريدين» قال بهدوء وهو ينهض من مكانه ويضع شالها على كتفيها ولكن فيما كان يرافقها الى خارج المطعم كان لا يزال يشعر بجسدها الذي ارتعش من جراء لمس أصابعه لها أثناء وضع الشال عليها.

لم يحاول احدهما فتح المحادثة أثناء عودتهما الى المنزل وتنهدت فرانشيسكا بارتياح حين تمنى لها ليلة هانئة وهو يوصلها الى الباب ورحل دون ان يحاول حتى ان يمسك بيدها مودعاً.

هذا التصرف أدهشها. فبالنسبة لرجل أعلن لها منذ ساعة تقريباً وبكل صراحة انه يريدها ويرغب بها، هذا كان تصرفاً غير عادي. بعيداً عن القبلة الكريهة التي قبلها اياها ذاك المساء في مكتبه وبعيداً عن محاولاته لإظهار الحب والود لها أثناء وجودهما مع عمتها ماريللا في ذلك المساء، هو لم يحاول أبداً لمسها. وبالرغم من ان آخر شيء تريده في الدنيا هو ملامسة وعناق جيرارد لها الا انها لم تستطع

الا ان تكون فضولية نحو هذا الرجل الذي وافقت على الزواج منه.

تبعاً لدعوة العمة ماريللا له كان جيرارد يتناول العشاء معهم تقريباً كل مساء خلال ذلك الأسبوع وفرانشيسكا رأت اعجاب عمتها المتزايد بسحر ولطافة جيرارد. خداعه كان ناجحاً جداً لدرجة ان عمتها والأخت فيونا كانا مأخوذين به ولم يشعرا بأن فرانشيسكا كانت تصبح مجرد خيال باهت لفرانشيسكا السعيدة السابقة.

ترتيبات الزواج كانت هي دائماً موضوع المحادثات لكن نادراً ما كانت فرانشيسكا تشاركهم الحديث مبعدة استفسارات عمتها القلقة بقولها انها سعيدة لترك الأمور بين يديهما.

جيرارد في الواقع هو من كان يقوم بكل الترتيبات وارتعشت فرانشيسكا داخلياً حين اقترب يوم زواجهما.

خرجت من عملها في المصرف للمرة الأخيرة في يوم الجمعة وكانت تزرر معطفها لتتقي رياح الخريف الباردة استعداداً لإستئجار سيارة لتعود الى المنزل.

«فرانشيسكا!».

تجاوبت أعصابها مع الصوت العميق واستدارت فوراً لتجد جيرارد يفتح لها باب سيارته. ترددت لحظات بالصعود لكنها عادت وصعدت وانطلقت السيارة في طريقها.

«لقد فهمت أنني لن أراك هذا المساء» قالت بصوت منخفض بسبب ارتباكها لرؤيته الغير متوقعة.

«هذا صحيح، لكن معي شيء أريد ان أعطيه لك لترتديه غداً».

قال هذا ورمى حقيبة مخملية صغيرة الى حضنها وكانت خائفة من فتحها.

«افتحيها» قال لها آمراً بصوت منخفض.

فتحت القفل القديم التقليدي بأصابع ترتعش والتقطت أنفاسها بحدة حين فتحت الغطاء ورأت التاج المصنوع من الألماس الرائع والمرصع ببياقوتة ضخمة الذي كان يلمع على القاعدة المخملية الزرقاء.

www.elromancia.com

«كان هذا لوالدتي» أوضح جيرارد بتصلب وجف حلق فرانشيسكا.

ظلت صامتة لأنهما وصلا الى المكان المنشود، نزلا وحالما جلسا أدارت بنظرها نحوه، لكن نظرتها المندهشة المستفسرة التقطت فقط بروفيل وجهه الصلب بماذا كان يفكر؟ تساءلت بفضول. وما الذي يوجد حقاً خلف قناع الصلابة الخارجي هذا؟ درسته بعناية لعدة لحظات. ونظرتها تتنقل من بعض الشعيرات البيضاء التي كانت تلمع فوق اذنه وطريقة التفاف شعره حول رقبته.

أدار برأسه فجأة وارتباكها لرؤيته لها وهي تحدق به دفع بالدم الى وجنتيها وأدارت برأسها بعيداً فوراً مغلقة الحقيبة المخملية.

«لا أستطيع ان أرتدي هذا التاج» قالت وهي تضع الحقيبة الصغيرة على الطاولة الصغيرة بينهما.

«لم لا؟» سألها بصوت جليدي.

«لا أشعر ان لدي الحق بارتدائه» شرحت بهدوء وهي تشبك يديها ببعض لتسيطر على ارتعاشها: «بالإضافة الى أنه... أنه ثمين جداً وغالي» أضافت وهي تشعر بالإضطراب لإمكانية حصول أي شيء للتاج أثناء وجوده بحوزتها. لكن لم يكن عند جيرارد أي نية بتغيير رغبته فقد أمسك بذقنها بين أصابعه وأجبرها على النظر اليه.

«أريدك ان ترتدي هذا العقد غداً، هذا أمر فرانشيسكا» وتصلبت أصابعه على ذقنها مسببة لها الألم وأضاف: «اذا لم تفعلي...».

وترك جملته دون اكمال، لكن التهديد كان يغلف نبرته وأدركت فرانشيسكا انها ستنصاع لرغبته حتى قبل ان تمنع نفسها من هذا.

أفلت ذقنها للحظة لكن أصابعه لامست خدها الشاحب بنعومة وامتدت الى رقبتها وحنجرتها وكان نبضها يتسارع من جراء لمسه لها وفجأة أمسكت أصابعه برقبتها كأنه يريد خنقها فرفعت اليه عينيها الواسعتين الخائفتين.

«انت تتصرفين بحكمة في اطاعتك لي» قال بهدوء وللمرة الثانية منذ معرفتها به شعرت بفمه القاسي يضغط على فمها للحظات قصيرة قبل إن يتركها وينظر بعيداً وكأنه غير شاعر بوجودها قربه.

فتحت فمها لتقول شيئاً ما لكن النادل وصل بشرابهما فاحتساه جيرارد بسرعة ونهض فنهضت هي معه. ظلا طوال الطريق نحو المنزل صامتين.

«اخلدي الى النوم باكراً هذا المساء» قال لها جيرارد وهو يتركها على الشرفة ولم تنتظر فرانشيسكا لترى السيارة تبتعد قبل ان تدخل المنزل.

بعد العشاء ذلك المساء تعب غير عادي سيطر عليها لكنها رفضت تناول قرصاً للنوم عرضته الممرضة فيونا عليها. لكنها ندمت على رفضها هذا لاحقاً حين جافاها النوم ووجدت نفسها مستيقظة في الحادية عشر ليلاً والنوم قد جافى جفونها.

لم ترغب في ايقاظ الممرضة فيونا في مثل هذه الساعة ونزلت بهدوء الى المطبخ وأعدت لنفسها كوباً من الحليب لكن هذا لم يساعدها أو يخفف من توترها. عادت الى غرفتها وأخذت تنظر من النافذة، ساعات معدودة وستحين اللحظة التي كانت تخشاها طوال الأسبوع. فكرة زواجها من جيرارد ستيفان، من ان يمتلكها شخص متكبر وقاسي مثله كانت كافية لترسل الرعب والرعشة فيها. وشعرت برغبة في الركض نحو غرفة عمتها والاعتراف لها بالحقيقة لكنها عدلت عن مجرد التفكير بهذا بسرعة وأدركت ان عليها اتمام دورها من الصفقة التي اتفقت عليها مع جيرارد من أجل عمتها.

وعلى ضوء الفجر الرمادي زحفت الى سريرها وأغرقها التعب والإرهاق في النوم لتوقظها الممرضة فيونا بعد ساعتين فقط والمرح يتلاعب على وجهها وفي عينيها وهي تحمل لها صينية الفطور.

«امتياز العروس ان تتناول الفطور في سريرها صباح يوم زفافها» أعلنت وهي تضع الصينية في حضن فرانشيسكا: «هذا اليوم سيكون أسعد أيام حياتك».

«سيكون أكثر أيام حياتي رعباً وخوفاً» همست فرانشيسكا لنفسها وهي تبتسم شاكرة الممرضة وانتظرت خروج الممرضة من الغرفة قبل ان تحاول تناول شيء من الطعام. لكنها شعرت وكأنها ستختنق

www.elromancia.com

فوضعت الصينية جانباً.

بعد ساعة وقد ارتدت ثوب الزفاف المصمم عند لورنزو نظرت الى نفسها عبر المرآة الضخمة وقالت: «لا بد ان هذا كابوساً... لا استطيع الزواج من جيرارد ستيفان أنا لا أحبه، أنا حتى لا أعجب به... أنا أحتقره».

لكن هذه لم تكن الحقيقة التامة. كانت دون شك مسحورة ومفتونة به، وكانت ستكون عمياء اذا لم تلاحظ جاذبيته الشديدة بالرغم من ملامحه الصقرية القاسية. تذكرت ضغط شفتيه على فمها وارتعشت. هل سيكون سيئاً جداً مشاركتها الفراش معه؟ تساءلت بنفس مقطوع.

الترقب، القلق وعدم التصديق كانت كل المشاعر التي كانت تجتاح نفس فرانشيسكا منذ صباح يوم الأحد الباكر. نظرت الى نفسها للمرة المئة وحدقت بانعكاس صورتها على مرآة غرفتها، هل هي حقاً عروس جيرارد ستيفان؟؟ هل ستصحو فجأة وتجد كل هذا مجرد كابوس مزعج؟.

طرقة الباب أعادتها للواقع فهرعت الى الباب وفتحته، عمتها كانت هي الزائرة.

«فرانش، ما الأمر؟ كان عليك الانتهاء من توضيب نفسك قبل ساعة» قالت عمتها باستفسار وهي ترمق بتساؤل ملامح فرانشيسكا الباهتة.

«لا شيء، عمتي، أنا فقط أشعر ببعض القلق».

عانقتها عمتها وقالت: «هذا شيء طبيعي يا حبيبتي، وكل عروس تنتابها هذه المشاعر ليلة عرسها».

«أجل لكن...» لكن ماذا همست فرانشيسكا لنفسها، هي لن تتراجع الآن عما صممته وتعطي عمتها الصدمة الكبيرة بدلاً من اعطائها الفرحة.

«دعيني أنظر ملياً اليك يا حبيبتي، لطالما انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر انت عروس رائعة الجمال وهذا الثوب يليق بك تماماً ويظهرك كفراشة رقيقة ساحرة تملأ قلب أقسى الرجال بالحنان والرقة.

أتمنى لك كل السعادة من أعماق قلبي وأنا أشعر بالأمان عليك وأنت بين أيدي أمينة كأيدي جيرارد. انه رجل حنون رقيق متفهم وصلب. هو كل ما تحتاجينه بزوج يؤمن لك المستقبل السعيد الآمن».

«أجل، أجل بالطبع» أجبرت فرانشيسكا نفسها على القول وصور مستقبلها المزعوم هذا مع جيرارد ستيفان تبدو لها بأحلك وأكثر الصور غموضاً ورهبة.

«هيا الآن انزعي مسحة القلق هذه عن وجهك الجميل فالعديد من النساء يحسدنك على هذه اللحظة ويتمنين لو كن هن مكانك».

آه لو ان احداهن كانت مكانها اليوم لكانت فرانشيسكا بأحسن حال وأهنأ بال.

رافقتها عمتها الى الخارج ووصلت سيارة كاديلاك بيضاء بسائق أقلت فرانشيسكا، عمتها والممرضة فيونا الى الكنيسة. منذ لحظة دخولها الى ذلك المكان سيطر الخواء على داخل فرانشيسكا وكانت تنظر الى كل ما يدور حولها كأنها تنظر الى فيلم سينمائي لا دخل لها به. فقط حين قبلها جيرارد قبلة الزفاف أمام الجميع أحست بنفسها تعود الى الواقع. انها الآن زوجته أمام الله وأمام الناس التمعت فلاشات المصورين وانتهى حفل الزفاف بحمل جيرارد لها وانتقالهما بالكاديلاك الفاخرة الى المطار.

نظرة الاطمئنان التي رمت بها عمتها كانت آخر حلقة بتمثيلية عرسها وحين شدت حزام الأمان حول نفسها في مقعد الطائرة سمعت جيرارد يتنفس بعمق ويقول: «آه، الآن آن لنا الاسترخاء أخيراً».

الاسترخاء!؟ انه الشيء الذي خسرته من لحظة وقوع نظرها عليه في تلك الأمسية الأولى.

كان التصلب لا يزال يسيطر عليها فنظر جيرارد اليها للحظات قبل ان يقول: «من الأفضل ان تحاولي النوم فالرحلة طويلة وأنت بادية الإرهاق».

«أنا بخير» قالت بعناد.

هز كتفيها وقال: «إفعلي ما تشائين» وحدق ببصره عبر النافذة نحو

www.elromancia.com

الغمام.

غصباً عنها وجدت فرانشيسكا تتبع نصيحته لها بالاستغراق بالنوم وفعلاً بسبب ارهاقها وتوترها وساعات النوم القليلة التي نامتها في الليلة السابقة وجدت نفسها تغرق بالنوم ولم تستيقظ الا حين أحست بيده تهزها بلطف من كتفها وصوته يقول: «هيا فرانشيسكا لقد وصلنا».

فتحت بعيونها وتساءلت للحظة الأولى عن مكانها لكن حين وقع نظرها على الخاتم الذي يزين أصبعها تذكرت كل ما حدث.

لم تستغرق انتهائهما من الاجراءات القانونية في مطار باريس سوى نصف ساعة خرجا بعدها الى السيارة التي سبق لجيرارد ان استأجرها لاستعمالها أثناء فترة اقامتهما في عاصمة الأناقة والفن.

كسرت فرانشيسكا الصمت المتوتر الذي كان يسيطر عليهما وهما بطريقهما الى وجهتهما.

«الى أين سنذهب الآن؟» سألت بصوت خافت لشدة خوفها.

«لقد حجزت لنا جناحاً في فندق الشيراتون وسنصل الى هناك بظرف نصف ساعة».

نصف ساعة، نصف ساعة فقط تفصلهما عن اللحظة التي تكاد تموت خوفاً من وصولها. الرعب والتوتر كانا يسكنانها. لا شيء يزعجها أكثر من فكرة اختلائها لعشرة أيام مع رجل ينجح دوماً لسبب ما في توتير أعصابها وتسريع نبضات قلبها.

نظرت اليه خلسة من بين رموشها الكثيفة ورأت يديه الممسكتين بالمقود بقوة وتملك. انهما يدان تتحكمان بكل شيء وبإمكانهما ان تكونان رقيقتان جداً وناعمتان أو محطمتان ومكسرتان.

اندهشت فرانشيسكا من وصول أفكارها الى تلك النقطة فنظرت بعيداً فوراً عبر النافذة الى زحمة السير في الخارج والى شوارع المدينة الجميلة الساحرة. لماذا مجرد فكرة مداعبة جيرارد لها بلطف ونعومة تقلقها هكذا؟ تساءلت وهي تحاول ضبط تسارع دقات قلبها. انها بالكاد تعرفه وهي تحتقره لإجباره اياها على هذا الزواج من غير

حب. لماذا اذن فكرة مغازلته لها تثيرها هكذا؟.

هذا سخيف عنفت نفسها بصمت، أنا متعبة ومرهقة وأسمح لمخيلتي بالذهاب بعيداً.

وصلا الى جادة الفندق الواسعة وركن جيرارد السيارة في الموقف، اصطكت ساقا فرانشيسكا وهي تغادر السيارة. ها قد حانت اللحظة التي كانت تخشاها بشدة فهي أولاً تشعر بالخوف والرهبة من زوجها الذي لا تعرفه هذا وذكرى قسوة قبلته على فمها لا تزال ماثلة أمامها وأيضاً هي شبه عديمة الخبرة بأمور الرجال. صداقاتها البريئة والخفيفة مع الشبان كانت تبقيها بعيدة عن المغامرات الطائشة الحميمة ولهذا فلا يوجد عندها أية فكرة عما قد يكون الأمر مع رجل قاسي ومرعب كجيرارد!!.

كان هو يتجه نحوها بخطواته الواثقة حين خرج أحدهم بسرعة فائقة من بهو الفندق واصطدم بجيرارد وظل متابعاً جريه. الاصطدام دفع بجيرارد للسقوط أرضاً بسبب المفاجأة وجسد الرجل الآخر الضخم. أسرعت فرانشيسكا نحوه بسرعة والقلق يلون عيونها: «جيرارد هل انت بخير؟؟».

حدق بها للحظات ورأى القلق المرسوم داخل نظراتها وقال: «أجل أنا بخير، هل تشعرين حقاً بالقلق علي أم انك تتمنين هلاكي لتحصلي على حريتك».

عاد الجمود اليها وقالت ببرود: «أنا لا أريد حريتي على حساب حياتك شكراً لك».

ابتسم لها بسخرية ثم نهض وأمسك بذراعها حين وصل اليهم مدير الاستقبال قائلاً: «نأسف سيد ستيفان على ما حصل لكن الرجل الذي اصطدم بك كان مهووساً كما يبدو وقد دخل الفندق بحثاً عن زوجته الذي يعتقدها موجودة هنا مع رجل آخر لكن كان هناك سوء تفاهم دفع بالرجل للاندفاع كالصاروخ الى سيارته للوصول الى منزله بسرعة».

«لا بأس» رد جيرارد بصرامة: «الاصطدام كان مفاجئاً وقوياً لكن

www.elromancia.com

لم تحدث أية أضرار، هلا أرشدتنا لو سمحت الى جناحنا!!.

أحنى المدير رأسه باحترام وسار أمامهما بعد ان هنأهما على الزواج نحو جناحهما. كان جناحاً فاخراً يكسوه الموكيت الأبيض ويتكون من غرفة جلوس وغرفة نوم واسعة بسرير مزدوج أشعل فتيل الرعب داخل نفس فرانشيسكا حالما رأته وغرفة نوم ملحقة صغيرة وغرفة حمام كبيرة.

«سيحمل الحاجب لكما الحقائب فوراً» قال المدير وانسحب.

ظلت فرانشيسكا واقفة في مكانها بارتباك ويدها تعبث بيد حقيبتها وساقاها تصطكان.

«هيا، لا تظهري بمظر المحكوم عليه بالإعدام أنا لن آكلك حية».

قال وهو يجلس على الكنبة الواسعة ويمد ساقيه الطويلتين باسترخاء.

«أنا... أنا...» تلعثمت دون ان تعرف ماذا تقول.

«سأطلب القهوة لي هل ترغبين باحتساء شراب آخر؟!» سألها وهو يرفع سماعة الهاتف.

«لا القهوة... القهوة جيدة» قالت ومشت بتردد نحو الكنبة المجاورة وجلست على طرفها.

- ٥ -

وصل الحاجب بالحقائب ووضعها داخل الجناح ثم وصلت صينية القهوة.

«سوف... سوف أضع الملابس... مكانها» قالت ونهضت على ساقيها.

«اتركيها الآن وصبي لي فنجان من القهوة لو سمحت» قال بصوت نافذ الصبر.

أطاعته وكانت يدها ترتعش وهي تناوله الفنجان الذي أمسكه منها واحتساه بصمت وهو يرمقها بنظراته المحدقة التي جعلت الدماء تندفع الى وجهها بارتباك. تحرك ليضع الفنجان على الطاولة فقفزت فرانشيسكا بغباء من مكانها لاعتقادها انه سيقترب منها وحين صارت واقفة ادعت انها تريد أن تملأ فنجانها.

www.elromancia.com

هل... هل ترغب بالمزيد من القهوة؟» سألته دون ان ترفع نظرها اليه.

«أجل» قال ومد نحوها فنجانه الفارغ وحين اقتربت لتتناوله منه سارع هو بوضع ذراعه حول خصرها وشدها نحوه فوجدت نفسها تجلس بين أحضانه. وضع فنجانه على الطاولة وأدركت هي انها قد وقعت في الفخ. وغمرها الخوف جاعلاً من المستحيل عليها التكلم.

«انت خائفة مني أليس كذلك؟» سؤاله كان تأكيداً أكثر منه استفسار.

رقته في الملاحظة جعلتها تعترف بصدق وتقول: «نعم أنا كذلك».

«خائفة مني أم من ممارسة الحب؟».

«من الاثنين معاً كما أظن» اعترفت وهي غير قادرة على تحاشي نظرته المخترقة.

«هل تعتبرينني وحشاً ما؟».

«كلا».

ورطبت فرانشيسكا شفتيها الجافتين بطرف لسانها دون ان تدري الإثارة بعملها البريء هذا ورأت الرغبة تلتمع داخل عيناه الرماديتين.

«أنا لا أريد ان أؤذيك دون سبب فرانشيسكا، لكني لن أسمح لك بالتراجع عن اتفاقنا».

قبلته كانت كالرغبة الملتهبة التي كانت تهدد بإغراقها. حاولت التجاوب معه لكنها شعرت رغماً عنها بالتصلب عوضاً عن التجاوب مع هذه العاطفة الجياشة. غارقة في جدار الخوف والرعب حاولت مقاومته لكن يديها كانتا ترتدان عن صدره الصلب الحديدي وأدركت ان محاولاتها مهما تكون ستظل فاشلة.

«بحق الله فرانشيسكا استرخي» زمجر أخيراً حين باءت كل محاولاته لإثارتها بالفشل ونجحت فقط في زيادة تصلبها.

«لا... لا أستطيع!» شهقت بإذلال قريب للدموع وتمنت أكثر من أي شيء في حياتها ان تكون في حمى منزلها الأمين.

تعبير فم جيرارد المتصلب جمدها فيما كانت أصابعه المتصلبة تمسك بكتفيها وتبعدها عنه فيما نهض على قدميه. الصمت كان متفجراً وهو يقف أمامها كالبرج وتراجعت على الكنبة متكورة تحت شعور بالذنب اكتسحها كلياً وتمنت لو يقول شيئاً، شيئاً ما يقطع به الصمت المدمر هذا.

«من المؤكد أنني قد أخذت خاسرة هذه المرة» قال أخيراً وصوته العميق يسقط كالسوط على أعصابها الحساسة: «اذا كان هناك شيء واحد لا أتحمله في حياتي فهو المرأة الباردة الجامدة. والله وحده يعرف ما الذي رأيته فيك. انت زائفة، فرانشيسكا زائفة ومخادعة. لقد حصلت على ما أردته لكنك غير مستعدة لتعطي أي شيء بالمقابل».

كلماته مزقتها حتى الصميم والإرتجاف يسيطر على كل عضلة فيها نهضت على قدميها محاولة اثبات خطأ ظنه بها بطريقة ما.

«جيرارد...».

«أرجوك» قال رافعاً يده بإشارة لإسكاتها: «مهما كان الشيء الذي ستقوليه أنا واثق انه لن يكون مهماً عندي بتاتاً لكن ليس عليك ان تقلقي من أنني سأتراجع عن وعدي لك. ستبقى عمتك في المنزل طوال فترة حياتها، لكن بالنسبة لزواجنا اعتبري انه غير موجود. سنبقى هنا لمدة عشرة أيام كما خططنا سابقاً. في نظر القانون انت زوجتي لكن لا تتوقعي أي اعتبار او اهتمام مني. سأفتش عن ملذاتي في مكان آخر، دون الاهتمام بما ستقوليه انت، أو الصحافة أو أي شخص آخر».

عيناه كانتا كالجليد الميت الذي ينظر اليها من الرأس الى القدم بإهانة مشينة سرقت كل قطرة دم من عروقها: «هل أوضحت نفسي جيداً؟».

تحركت شفتاها لكن صوتها لم يخرج منها وطأطأت برأسها بسكون والضوء الخافت في الغرفة يخفي العيون التي تعكس جرحاً عميقاً في القلب.

«الغرفة الرئيسية هي غرفتك» قال ببرود وهو يدير وجهه عنها ويحدق في النار الخابية: «اذهبي للنوم - ولا تزعجي نفسك بإحكام اغلاق الباب» وتابع بسخرية: «فأنت في أمان كامل».

ساقاها المرتجفتان حملتاها بعيداً عنه ولكن حين أغلقت باب الغرفة وراءها شعرت بشيء يحترق داخلها وأسابيع الأسف والتوتر فعلا فعلهما بها. غرقت على الأرض قرب السرير وبكت وانتحبت وتأوهت وظلت على هذه الحال لفترة لا تعلم كم طالت حتى شعرت بأنها قد ذرفت آخر قطرة دموع من عواطفها المذبوحة.

انت مخادعة وزائفة، تذكرت كلمات جيرارد لها لاحقاً وهي متكورة في السرير المزدوج الكبير تتساءل كيف ستتمكن من التعايش مع هذا الوضع. انت أكثر من مجرد مخادعة وزائفة قالت لنفسها، انت جبانة! أسوأ نوع من أنواع الجبناء.

استيقظت فرانشيسكا صباح اليوم التالي والشمس تخترق نافذتها. استغربت استغراقها بالنوم هكذا وادارت رأسها حولها وتذكرت أحداث الأمس المؤلمة. كان من المفترض بهذه الأيام ان تكون شهر عسلها وهذا ما كان ينويه جيرارد، لكن الأحداث جرت بطريق مختلف وها هي وحدها في هذا السرير الكبير وجيرارد لا بد انه قد غادر الجناح.

نهضت على أطراف أصابعها وأصغت السمع لم يكن من أي صوت في الخارج دخلت الى غرفة الحمام استحمت وارتدت بنطالاً أبيض اللون وبلوزة مشجرة دون أكمام ثم طلبت طعام الفطور وطلبت وضع شمعة وزهرة على الصينية.

لقد وجدت ان جيرارد يجلس في الحديقة الخاصة التابعة لجناحهما والتي كانت فعلاً جنة صغيرة مخفية عن العيون. ظلت تراقبه للحظات طويلة وهو يجلس بقامته الطويلة على الكرسي القش الكبير تحت ظلال شجرة الياسمين ويطالع جريدة الصباح بانسجام كامل. كيف ستكون حياتها مع هذا الرجل الآن وخاصة بعد بلاهتها في الليلة السابقة. جبنها ورعبها دفعاه ليأخذ فكرة خاطئة عنها وعن

برودها بتجاوبها معه. لربما عليها ان تصحح هذا الوضع وتزيل سوء التفاهم الذي حدث بينهما.

حملت صينية الفطور الى الحديقة ورفع هو نظره اليها حين سمع صوت أقدامها.

«صباح الخير جيرارد» قالت بابتسامة مشرقة.

ظل يحدق بها بدهشة دون ان يتكلم كأنه يحاول ان يحلل تصرفها هذا.

«لم تتناول شيئاً هذا الصباح» تابعت بتصميم رداً على صمته: «ففكرت بمشاركة طعام الفطور معك هنا في هذه الحديقة و... وما رأيك لو نضع شرشف الطاولة على الحشائش تحت الشجرة هنا... ولنجلس على الأرض ونتناول الطعام؟!».

ارتفع حاجباه بدهشة لإقتراحها لكنه نفذه ووضعت هي الصينية على الأرض وناولته قطعة الخبز المحمص بعد ان دهنتها بالزبدة والمربى.

تناولا فطورهما وزقزقة العصافير حولهما والمنظر الطبيعي الساحر حولهما. طائرة مسافرة كانت تحلق فوقهما في السماء الزرقاء الخالية من الغيوم وظلت فرانشيسكا تراقب الطائرة بصمت حين أعلمتها حاستها السادسة انها بدورها مراقبة. حركت رأسها ببطء لتلاقي نظرة جيرارد التي كانت مركزة عليها وشعرت بشيء عميق داخلها يرتعش.

غير قادرة على النظر بعيداً ظلت تحدق به للحظات محاولة اختراق نظرة عينيه الرمادية الحديدية كانت مدركة لنفس الشعور الذي يحبس أنفاسها الذي شعرت به حين رأته للمرة الأولى في منزل والدها. وأخيراً أبعدت نظرها مركزة على نحلة كانت تطوف بالأزهار حولهما.

«ما هو السبب في هذا فرانشيسكا؟».

صوته فاجأها وغضت بصرها نحو يديها المرتبكتين في حضنها وقالت: «وربما هذه طريقتي في قول... أنني آسفة على كوني كنت جبانة الليلة الماضية».

ظل جيرارد صامتاً وسارقة نظرة نحوه وجدت انه كان يحدق بها

بتفكير كأنه كان يحلل اعتذارها.

«أنا أتقبل هذا» قال أخيراً محركاً يديه بغموض: «لكن الى أين ننطلق من هنا؟».

مصممة على اثبات خطأ رأيه بها البارحة قالت بصوت هادىء وواضح: «أنا أريد ان أفي بواجباتي جيرارد لكن...» وابتلعت ريقها بصعوبة وتابعت بتلعثم: «أنا بحاجة لبعض الوقت. أنا... أنا لا أستطيع...».

«ان تذهبي الى الفراش مع شريك غريب حتى ولو أنه كان يدعى زوجك؟».

أكمل لها جملتها متسائلاً. فطأطأت برأسها علامة الايجاب وقد اشتعلت وجنتاها من الارتباك.

ضحك بقسوة وقال: «حسناً، سأعطيك الوقت لتتأقلمي وفي الوقت الحاضر سنسمح فقط للطبيعة بأن تأخذ مسارها الطبيعي».

أبعد الصينية وتقلصت المسافة بينهما حتى شعرت بساقه يضغط بقوة على ساقها. نظرتها المضطربة تلاعبت على صدره الصلب، خط رقبته القوي والابتسامة الساخرة على وجهه فيما أحاطها بذراعه مجبراً اياها على الإتكاء على صدره والنظر الى السماء. شعرت كم هي صغيرة أمام هذا الكون الواسع وصدره كان كالجناحين اللذين غمرتاها. وتوقف صوت الطيور أو ان صوت قلبها النابض بقوة منعها من سماع أي صوت آخر حولها؟.

«جيرارد؟».

«في هذه اللعبة يجب السماح ببعض القبلات وبعض المغازلات اللطيفة» شرح لها بمرح: «هذا يسمى الإلتقاء الجسدي وفي هذه اللحظة أنا بحاجة لهذا».

يداه كانتا خلفها وتشدانها نحو جسده القوي فيما أخذ يقبلها باستمتاع وتلذذ بطيئين حتى لان جسدها بمشاعر تركتها ترتعش حتى بعد ان تركها وأوقفها على قدميها.

«هذا كان جميلاً جداً، لكن من الأفضل الاكتفاء بهذا القدر لهذا

الصباح» قال باختصار وتركت وهي تشعر بالفضول والغرابة حين استدار هو ودخل الجناح.

الأيام مرت بسرعة بعد هذا وكانا يقضيان النهار بالتجول في الأسواق والآثار القديمة وكانا يتناولان الطعام في المطاعم التي يجدانها في طريقهما وكانت فرانشيسكا قد بدأت تشعر بالارتياح والاسترخاء بصحبته. فهو كان يحدثها بمرح عن كل ما تراه حولها وعن تاريخ باريس القديم والى ما هناك من الأحاديث العادية المتنوعة.

شعورها المتزايد بوجوده قربها والمشاعر المربكة التي كان يثيرها بها كانت غريبة وجديدة عليها. أثناء الأمسيات الباردة كانا يجلسان قرب المدفأة وكانت تقضي الوقت بالتفكير بالظروف التي جعلتها تتزوج هذا الرجل. كانت هناك مناسبات حين كان يقبلها ببطء واستمتاع لكنها كانت تشعر بالغضب داخلها كلما كان ينتهي من تقبيلها ويبتعد بعيداً مستعيداً البرودة والجفاف.

كان كما أدركت يمارس ضغطاً كبيراً وتحكماً في أعصابه بالنسبة لرجل كان معتاداً على نيل مأربه من النساء وبالرغم من شعورها بالتقدير الذي يبذله بالتحكم بأعصابه معها لكنها كانت تتساءل ان كانت ستندم على طلبها للوقت منه. رجل بحيوية ورجولية جيرارد لا يستطيع ان يعيش دون امرأة لفترة طويلة، وقد يمل منها ومن الانتظار ويلجأ لإمرأة أخرى غيرها كانت هذه فكرة مزعجة أقلقتها وهي تحزم حقائبها صباح يوم الرحيل وظلت تدور في رأسها بعناد أثناء طريق عودتهما معاً الى فلوريدا.

«حسناً» قال جيرارد بصوت ملؤه السخرية والهزء وهو يقود السيارة من بعد وصولهما الى فلوريدا.

طريق العودة: «لقد انتهى شهر العسل».

ظلت فرانشيسكا صامتة فهذا لم يكن المكان المناسب لفتح أي موضوع ويجب على جيرارد ان يركز على الطريق الضيق أمامه، عليها ابقاء كل شيء داخلها حتى يصلا الى البيت. البيت؟ أين هو هذا

البيت؟ تساءلت فجأة مدركة ان لا فكرة لديها عن مكان اقامة جيرارد.

«اين ستقيم؟» سألت وفضولها في ذروته.

«في شقتي» قال باختصار ومزاجه كما هو واضح في عدم رغبة بالكلام.

شقته كما ظهر بعد وصولهما هي عبارة عن غرفتي نوم وغرفة مكتب، غرفة جلوس، غرفة طعام ومطبخ عصري. كانت شقة جميلة وفاخرة الأثاث لكنها كانت تفتقد شعور الإلفة الذي كان موجوداً في منزلها ومنزل عمتها.

حمل جيرارد حقائبها الى غرفة النوم الرئيسية ونظرتها تحركت بانزعاج على السرير المزدوج الكبير بغطاءه الأبيض الحريري، هذه ستكون غرفتها ولاحقاً غرفتها وجيرارد، ارتعشت للفكرة وانقطع الصمت المزعج حين أشار جيرارد الى الخزانة وقال: «لقد تدبرت أمر نقل بقية أغراضك الى هنا أثناء غيابنا».

«شكراً لك».

نظرته الباردة استقرت عليها لبعض الوقت قبل ان يستدير ويغادر الغرفة. تنهدت فرانشيسكا بارتياح وأسرعت الى النافذة. كان المنظر يطل على باقي مباني المدينة وشكرت الله ان صوت السيارات كان بعيداً.

تفحصت الخزانة ثم بدأت بفك حقائبها وترتيب ملابسها داخل الخزانة والجوارير، لتشعر بعد قليل ان جيرارد كان يقف على الباب ويراقبها ويديه على بكلة حزامه. كان قد غير ملابسه وارتدى قميصاً وسترة زرقاء داكنة.

سألته باستفسار: «هل انت في طريقك للخروج؟».

ابتعد عن الباب واتجه نحو السرير بخطوات بطيئة وقال: «سأذهب الى المكتب وأشك أنني سأعود باكراً هذا المساء».

فيما كان يتكلم التقط رداء نوم حريري أسود شفاف كانت قد وضعته على السرير استعداداً لوضعه داخل الخزانة وراقبته برعب وذهول وهو يرفع الرداء وينظر اليها كأنه يتخيلها وهي ترتديه ويبدو كأن

الصورة التي تخيلها أعجبته فقد لاح شبح ابتسامة على فمه وشعرت فرانشيسكا بأنفاسها تتقطع.

«هل أبقي... أبقي عشائك في الفرن ساخناً لحين عودتك؟» سألته وخديها ملونين بالأحمر الداكن فيما داعب الرداء قليلاً بأصابعه قبل ان يعيده الى مكانه.

«لا تزعجي نفسك. سأتدبر أمر شيء آكله وأنا في الخارج. آه، و...».

تعابيره كانت ساخرة بوضوح فيما كان يخطو نحو الباب وتابع: «سأقدر لك أمر ترتيب غرفة النوم الثانية من أجلي. الشراشف والوسائد النظيفة موجودة في خزانة في آخر الممر».

واستدار وغادر الغرفة وبعد لحظات سمعت صوت باب الشقة يغلق وراءه. انتهت من توضيب ثيابها واضعة الرداء الأسود في أقصى الخزانة ثم ذهبت ووضبت له غرفة النوم الإضافية التي كانت تشبه بفخامة الأثاث غرفتها هي ولكن هنا يوجد سريرين تفصل بينهما طاولة وشعرت فرانشيسكا بوجود جيرارد القوي في هذه الغرفة فسارعت بالخروج منها بعد انتهائها من توضيبها فوراً.

جالت في غرف المنزل وأمضت بعض الوقت في غرفة مكتب جيرارد لكنها لم تجد أي شيء يدلها على شخصية الرجل وطباعه فكل شيء كان مرتباً وموضباً كأنه لا يستعمل هذه الغرفة. أكملت استطلاعها للشقة ثم صعدت الى الشرفة الكبيرة التي كانت مزروعة بالكثير من النباتات الخضراء والملونة. وجدت صحيفة موضوعة على الطاولة فتناولتها واندهشت حين وجدت داخلها صورة لها ولجيرارد أثناء خروجهما من الكنيسة كانت ابتسامتها تبدو حقيقية وسعيدة وضحكة جيرارد كذلك. عادت بعد قليل الى الداخل وهي تفكر بالتاج الماسي الظاهر في الصورة لقد نظر جيرارد اليها برضى حين رآها ترتديه وقد أسرعت هي بإعادته الى حقيبته الآمنة فور انتهاء حفلة الزفاف. تساءلت فرانشيسكا كيف كانت والدة جيرارد وأدركت كم هي تعرف القليل عن زوجها لقد سمعته يقول لعمتها في احدى المرات

www.elromancia.com

ان والديه كثيرا المرح والحيوية ولكن هي كانت لا تعرف شيئاً آخر عنه سوى الأخبار التي كانت ترد في الصحف.

وتلك المعلومات القليلة التي أعطاها اياها عن نفسه خلال العشاء الذي سبق خطوبتهما. كانت هذه الأفكار لا تزال تتردد داخل عقلها حين رن جرس الهاتف. أسرعت فرانشيسكا اليه وقلبها يتسارع نبضاته لاعتقادها ان جيرارد هو المتحدث لكن لهفتها انطفأت حين تفاجأت بسماع صوت أنثوي يقول: «سيدة ستيفان؟».

«نعم، أنا هي من يتكلم؟».

ضحكة نسائية رنت بأذنيها قبل ان تسمع المتحدثة تقول: «أنا جاكلين بوارا».

قطبت فرانشيسكا حاجبيها لتتدرك أين سمعت هذا الإسم من قبل.

«لا شك انك سعيدة لنجاحك بإيقاع جيرارد في شرك الزواج منك، لا أعرف ما هي الطريقة التي اتبعتها لاقناعه بذلك لكني أرغب ان تعرفي تماماً المكان الذي تحتلينه بالنسبة لجيرارد».

«آنسة جاكلين أنا...».

«انه لي» أعلن الصوت الجميل مقاطعاً فرانشيسكا: «كان له بعض العلاقات الحميمة في السابق لكنه كان دوماً يعود لي أنا بالنهاية».

كلماتها ولسبب ما سارعت نبضات فرانشيسكا وسمعت نفسها تقول بصوت واثق: «الزواج ارتباط أقوى بكثير من مجرد العلاقات العابرة الا تعتقدين ذلك؟».

ضحكت جاكلين بوارا باستهزاء وقالت: «جيرارد لا يحترم أيضاً مواثيق الزواج وعهوده. انه حاكم نفسه ويعمل وفق مبتغاه وما يريده فقط، حين يمل منك سيعود لي حيث هو مكان انتمائه الحقيقي».

«سنرى كلام من هو الصحيح» قالت فرانشيسكا بتحدي.

وتفاجأت حين سمعت رد جاكلين المليء بالثقة التامة وهي تقول: «ما من أحد يفهم ويعرف جيرارد مثلي أنا انك مجرد لعبة يشبع بها رغبته لوقت قصير ثم يعود بعدها الي. النمر يا عزيزتي لا يغير طباعه مطلقاً. هذا ما سيحدث وبسرعة أيضاً فتمتعي بأيامك القليلة معه لأن

هذا هو كل ما ستحصلين عليه منه صدقيني».

فأعادت بدورها السماعة الى مكانها وهي تستغرب رد الفعل التي أخذت تنمو داخلها من جراء كلمات جاكلين بوارا هذه. لقد أذتها كلمات هذه المرأة حقاً، لماذا؟ هل هي تشعر بالغيرة على جيرارد؟ هل هي تكترث له اذا ما أقام علاقات حميمة مع أي امرأة أخرى؟ ارتعشت لهذه الفكرة الا انها عنفت نفسها قائلة بصرامة أنا لا أكترث لأمره، لكن شيئاً ما داخلها أخبرها ان ما تقوله غير صحيح. تصلبت وتذكرت فجأة أين سمعت هذا الاسم من قبل لقد قرأت مرة قبل التقاءها المشؤوم بجيرارد ستيفان وفي احدى المجلات مقالاً مفاده: «ان رجل الأعمال الثري والعازب لأشهر جيرارد ستيفان افتتح وصديقته الفاتنة الآنسة جاكلين بوارا شركة الإستثمار الجديدة له في شيكاغو» لم يكن المقال مصحوباً بصورة ولهذا فلم تتعرف فرانشيسكا على صاحبة هذا الاسم.

ما كانت مدى العلاقة بينهما؟ وهل غضبت جاكلين حين قرر هو الزواج؟ أم انها أخفت مشاعرها بذكاء؟ هل كان جيرارد معها الآن؟ هل كان يشاركها الفراش؟ طردت هذه الأفكار من رأسها واتصلت بالمنزل وردت عليها الممرضة فيونا وبعد بعض الثرثرة وعدتها فرانشيسكا بالزيارة في الغد. ثم أطفأت ضوء غرفتها وحاولت النوم.

فيما كانا يواجهان بعضهما البعض على مائدة الفطور تعجبت فرانشيسكا من النشاط والحيوية اللذان ظهرا على وجه جيرارد الذي ظل يعمل خارج المنزل حتى ساعة متأخرة من مساء البارحة. لتناول فطوره باسترخاء وبطء وشعرت فرانشيسكا بأنها غير موجودة لحين رفع نظره وأمسك بنظرتها. ارتفع حاجبه بقوة فوق عيناه الساخرتان دائماً وأرخت هي جفناها بسرعة لتخفي ارتباكها.

«أظن انك قد نمت جيداً؟».

السخرية في صوته أزعجتها لكنها تحكمت برجفة صوتها وهي تمتم بأدب: «نعم، شكراً».

«ما هي مشاريعك لهذا اليوم؟».

«فكرت في زيارة عمتي والقيام ببعض التسوق بنفس الوقت. الخزائن في المطبخ شبه فارغة والثلاجة تكاد تفرغ بدورها».

«أنا نادراً ما أتناول وجبة طعام هنا في البيت لكن ابتاعي ما ترينه ضرورياً ودعي الفواتير تعود لي».

وسحب دفتر شيكات من جيبه وكتب عليه شيكاً: «هذا لاحتياجاتك الضرورية الخاصة».

حدقت فرانشيسكا بالشيك الذي دفعه نحوها وشهقت للمبلغ الكبير ولفكرة أخذها للمال منه إضافة للمبلغ الذي كان والدها يدين به اليه سببت لها المرارة.

«جيرارد أنا لا أريد...».

«ما تريدينه وما لا تريدينه لا يهم. ما أريده أنا هو ما يهم» قاطعها ببرود وهو يحتسي فنجان القهوة: «سأراك هذا المساء».

وغادر فوراً قبل ان تمنعه وقفزت حين صفق باب الشقة وراءه بعنف غير ضروري.

تساءلت ماذا ستفعل وقررت ان تمزق الشيك دون ان تخبر جيرارد بهذا فكرامتها لا تسمح لها بقبول المال منه وبالفعل فقد مزقت الشيك ورمته في سلة المهملات. لديها الكافي من مالها الخاص الذي سيكفيها اذا أجرت مشترياتها بعناية.

عمتها كانت تجلس على شرفة المنزل واضعة الشال على قدميها والتمعت عيناها بالبهجة حين رأت الفتاة الجميلة المقبلة نحوها.

«فرانشي يا طفلتي من المفرح جداً ان أراك» قالت وهي تحتضن فرانشيسكا: «لقد اشتقت اليك».

«لقد اشتقت اليك أنا أيضاً عمتي» اعترفت فرانشيسكا وهي تقبل وجه العجوز ولاحظت بقلق علامات التعب التي كانت على عمتها فسألتها: «هل كنت على خير في الأسبوع المنصرم؟».

«كنت على خير ما يرام يا عزيزتي» طمأنتها عمتها كالعادة: «اجلسي وأخبريني عنك وعن جيرارد. هل انت سعيدة؟».

«نعم، عمتي» كذبت متحاشية عينا عمتها المتفحصتين.

«هواء فرنسا دون شك قد أفادك أم هل جيرارد هو السبب في عودة اللمعان الى عينيك وتلك الحيوية والنضارة على وجنتيك؟».

«ربما بعضاً من الاثنين» أجابت فرانشيسكا كارهة نفسها لإضطرارها على الكذب ثم أدارت الحديث بذكاء الى موضوع آخر أقل إقلاقاً.

تحادثا لبعض الوقت وتفاجأت فرانشيسكا لرؤية ان عمتها كانت تتكلم وتعيش في الماضي عن شقيقها ووالدها والأحداث التي مرت بها في السابق وشعرت فرانشيسكا بالخوف لاحساسها ان عمتها كانت تحن للحظة التقاءها بأحبائها في العالم الآخر.

«كيف هي صحة عمتي؟» سألت فرانشيسكا الأخت فيونا لاحقاً.

«انها بأحسن حال يا عزيزتي».

«لا تكوني متظاهرة» اتهمتها فرانشيسكا وهي تشعر بعدم صحة ما قالته الممرضة التي أصبحت احدى أفراد العائلة في الأشهر الأخيرة: «أريد الحقيقة... أرجوك».

نظرت الأخت فيونا بعيداً وقالت: «لربما عليك التحدث مع الطبيب، هو...».

«أنا أسألك انت» أصرت فرانشيسكا والخوف يتلاعب بقلبها.

«فرانش، عزيزتي...» ونظرت الممرضة الى وجه فرانشيسكا العنيد المصر وتنهدت بألم وقالت: «صحتها تتراجع بسرعة».

«بأي سرعة؟».

«هذا صعب للقول» قالت الممرضة بانزعاج من نظرة فرانشيسكا المحدقة بها وتابعت: «منذ وفاة والدك وهي لا تتجاوب مع العلاج كما كانت تفعل من قبل».

حدقت فرانشيسكا بها بعدم تصديق: «تعنين انها تفقد رغبتها في الحياة؟».

«يبدو الأمر كذلك نعم».

«آه هكذا اذن».

وكادت الدموع تطفر من عيني فرانشيسكا وشعرت بعدم القدرة

على القيام بأي شيء. الحياة دون عمتها شيء لم تفكر به من قبل وشعرت بالحزن يمزقها.

«أنا آسفة فرانش».

أبعدت الدمعة التي لمعت في عينيها وابتسمت وقالت: «لقد طلبت الحقيقة أخت فيونا وأنا شاكرة لك لكونك صادقة جداً معي».

مشت فرانشيسكا دون ان ترى أمامها من البيت الى موقف الباصات القريب. كانت غارقة في تذكر الحديث الذي دار بينها وبين الممرضة فيونا ولم تنتبه الا ومرسيدس تتوقف أمامها وبابها يفتح ورأس عسلي الشعر ينادي اسمها.

«فرانشيسكا».

صوت اسمها سحبها من أفكارها وأعادها الى رشدها.

«آلان» قالت بتعجب: «ماذا تفعل هنا؟».

«كنت في انتظارك».

«كيف عرفت أنني سأكون هنا اليوم؟» سألت بفضول متجاهلة الباب المفتوح الذي كان دعوة صامتة لها لمرافقته.

«لقد اتصلت ليلة البارحة لأسأل عن أخبارك فأخبرتني الممرضة فيونا انك ستكونين هنا هذا اليوم» شرح آلان وابتسامته مقنعة وساحرة: «هيا ادخلي وسأوصلك الى المكان الذي تريدين».

مدركة ما هو شعوره نحوها ترددت فرانشيسكا قائلة: «هذا لطف منك آلان، لكن...».

«يجب ان أتكلم معك فرانشيسكا» قاطعها بإلحاح: «أرجوك؟».

نظرته المتوسلة جعلتها توافق فقالت: «هل سأبعدك عن طريقك اذا طلبت منك ايصالي الى المدينة؟».

«أنا ذاهب في ذلك الاتجاه» ابتسم: «هيا اصعدي».

أطاعته فرانشيسكا بصمت وانطلق آلان بسرعة غير ضرورية. حدقت بجهة وجهه الطفولي الصامت وجدية ملامحه أثار فضولها.

«قلت انك تريد التحدث معي» قالت له على عجل.

«هل انت سعيدة فرانشيسكا؟» سألها ونظرت بعيداً فوراً حتى لا

يرى القلق في عينيها.

«نعم، طبعاً».

«هل انت متأكدة؟».

«جيرارد لم يسيء معاملتي بأي طريقة اذا هذا ما كنت تأمل به» أكدت له بحدة قليلاً.

«اهدئي فرانشيسكا» قال بهدوء وهو يوقف السيارة في موقف قرب حديقة عامة. الحذر والفضول ازدادا داخلها وسألته: «لماذا نحن نتوقف هنا؟».

«أريد ان أتحدث معك» قال وهو يستدير لمواجهتها.

«بالطبع بإمكانك القيادة والتكلم بنفس الوقت؟».

«فرانشيسكا...» وانحنى نحوها وعينيه العسليتين يحدقان بها: «أنا أعرف عن القرض الذي استدانه والدك من جيرارد ستيفان».

انذهلت وقالت: «هل تعرف؟».

«وأعرف أيضاً ان منزلك هو الضمان لهذا القرض» تابع آلان متجاهلاً الإشارات التي كانت تخبره انه قد تمادى كثيراً.

«لا أعرف من أين عرفت كل هذه المعلومات لكن...».

«هل أجبرك جيرارد ستيفان على الزواج منه؟».

لقد خمن الحقيقة بدقة متناهية فاندفعت تدافع فوراً قائلة: «لا تكن سخيفاً؟».

«انظري الي».

ممسكاً ذقنها بيده أجبرها على مواجهته واعتمدت فرانشيسكا على الغضب كدفاعها الوحيد: «ليس عندك الحق في استجوابي هكذا الآن».

«لقد حدث أنني كنت أحبك» قال لها بهدوء: «وحبي لك يعطيني الحق في أن أقلق بشأنك».

«لا داعي لتزعج نفسك وتقلقها» قالت باختصار مبعدة يده عنها.

«فرانشيسكا...».

«من أخبرك عن القرض الذي قام به والدي؟».

«أخشى أنني لا أستطيع ان أكشف مصدر معلوماتي لكن من الغريب كيف تفك عقدة اللسان بعد عدة كؤوس من الشراب» قال بدون خجل وحدقت فرانشيسكا به لعدة لحظات بصدمة وغضب صامت.

«أعتقد انك حشري» قالت أخيراً وصوتها كان بارداً متجمداً: «ليس عندك الحق في التجسس على شيء لا يخصك، وبالنسبة لقرض والدي فهو كان ولا يزال أمراً خاصاً بيني وبين زوجي فقط».

زوجي! هذه كانت المرة الأولى التي تستعمل فيها هذا التعبير لكنها كانت غاضبة ولم تركز على هذه الكلمة بالذات ورأت الارتباك الذي ظهر على وجه آلان.

«ما فعلته، فعلته لأنني قلق بشأنك».

«هذا لا يزال ليس عذراً لتصرفك» قالت بصرامة وهي تفتح باب السيارة بحدة.

«الى أين انت ذاهبة؟» سألها آلان باضطراب.

«سأستقل الباص عند الزاوية القريبة» قالت له وهي تبتعد.

«لا تكوني سخيفة!».

«الى اللقاء آلان» قالت منهية الموضوع بصرامة جعلته يمتنع عن الإصرار عليها بالعودة أو اللحاق بها.

مشيت في طريقها دون الإلتفات الى الوراء ولحسن حظها وصل الباص فور وصولها الى زاوية الطريق فاستقلته وجلست تحاول تهدئة غضبها وأدركت انه كان عليها ان تأخذ كلام آلان بضحك لكن الأوان قد فات الآن وتمنت ان يبقى آلان هذه المعلومات لنفسه فقط.

قلقها على عمتها كان كبيراً جداً فالتجأت الى الحديقة في الشرفة بعد العشاء ذلك المساء، كانت أضواء المدينة تمتد أمامها والأضواء الاعلانية تضيء وتطفأ باستمرار وصوت السير البعيد يخبرها عن قفير النحل هذا الذي لا يتوقف عن الحركة في المدينة وكرهت الضجة هذه أكثر فأكثر حين تذكرت السلام والهدوء في منزلها وعمتها.

صوت خطوة وراءها جعلها تستدير لتجد جيرارد يتكىء على الباب

خلفها ويكمل سيجارته بصمت. كان يرتدي قميصاً أبيضاً مفتوحاً حتى خصره وبدا رمزاً للرجولة والقوة في ضوء المساء الخافت فأحست بالاضطراب داخلها فوراً لشعورها بجاذبيته الجسدية الكبيرة هذه ونظرة عينيه الرمادية الحديدية أشعلت أعصابها فوراً فقالت أول شيء خطر على بالها لتقطع الصمت.

«هل تتمتع بالعيش هنا وسط هذه الغابة الدائمة الضجيج؟».

«انه أمر عادي».

«انه أمر معتاد عليه» صححت له فوراً مبعدة نظرها عنه لتتحاشى القوة المغناطيسية الذي كانت تصدر منه وتجذبها.

«هل انت تفتقدين منزلك؟».

حسرة صعدت الى حلقها لكنها تجاهلت سؤاله وقالت: «لقد رأيت عمتي هذا الصباح».

«كيف حالها؟».

«صحتها لا تتحسن مطلقاً».

«ماذا تتوقعين من شخص في مثل عمرها؟».

«لا أدري لكنني كنت واثقة من انها لن تستسلم دون قتال» ابتلعت ريقها بصعوبة وتشنجت يداها وهي تتابع: «أتمنى لو كان باستطاعتي القيام بشيء ما لأجلها».

«لا تستطيعي ان تمنعي ارادة الله، فرانشي».

قضمت شفتها مقاومة الدموع التي كانت تهدد بالهطول لكنها لم تستطع ان تخفي الرعشة في صوتها وهي تهمس: «أعرف... وهذا يجعلني أشعر أنني دون حول ولا قوة».

«أدارها لتواجهه ولمسته دافئة ولطيفة على كتفيها وقال: «لو استطعت لحركت السماء والأرض من أجل أولئك الذين تحبين، الست كذلك؟».

فرانشيسكا كانت غير قادرة على اجابته وشعرت فجأة بقربه منها. النسيم أرخى خصلة من شعرها على وجهها كالخِمار الذهبي ورفع جيرارد يده ليرفعها لها وأصابعه تتلمس قليلاً نعومة شعرها وحريريته

www.elromancia.com

قبل ان يلامس وجنتها وحنجرتها.

«عندي شعور انه حين تحبين، ستحبين بشكل كامل وتام» تابع ونبرة صوته العميقة تؤثر بغرابة على أعصابها: «لن يكون هناك أنصاف مقاييس لإعطائك لذاتك كلياً لمن تحبين».

شيئاً ما حذرها انها كانت تُغوى بعناية ودقة وعن عمد لكن قلبها رفض الانصياع لعقلها. فظلت ساكنة مكانها ونبضها يتسارع وحواسها تتجاوب باستمتاع للمسته.

«اهربي» قال لها عقلها لكن الأوان كان قد فات. لم يكن من مهرب من الذراعين اللتين أحاطتا بها والفم الذي أطبق على فمها بقبلة حنونة استجابت لها كل ذرة في كيانها فوراً. وشعرت انها تغرق في مشاعر رائعة جديدة.

يدا جيرارد كانتا دافئتين على ظهرها وغرقت في مشاعرها وعانقت رقبته بسعادة ورغبة والنشوة تسري في عروقها.

«لقد كنت ساحرة صغيرة مثيرة ومغرية» ضحك بانتصار قرب حنجرتها: «استسلامك سيكون التعويض المثالي لخسارتي حريتي».

الرشد عاد اليها بشعور حاد من الخجل لتفكيرها بسهولة انسياقها وتجاوبها معه فتململت وتخلصت من قبضته.

«حريتك؟» قالت بعدم تصديق والغضب يشتعل داخل عينيها وهي تحدق بوجهه المتعالي: «وماذا عن خسارتي لحريتي أنا؟».

«أنا أقيِّم حريتي غالياً لكن دعينا لا نتجادل بهذا الموضوع» قال ضاحكاً وحاول الاقتراب منها فخطت بعيداً واضعة الكرسي بينهما.

«لقد استغنيت عن حريتي لسبب نبيل وهو شيء لا تستطيع ان تدعي انك قمت به انت أيضاً» صرخت بصوت مخنوق وهي ترتعش والدموع تكاد تطفر من عينيها: «اذا كنت أتمنى أي شيء. فأنا أتمنى الا يقع نظري عليك أبداً، انت متعجرف، متكبر وواثق كثيراً من نفسك، أنا أكرهك».

بحركة واحدة كان قد أبعد الكرسي وأمسك بها بقوة وشدها نحوه وأصابعه تضغط على وجهها بقسوة ألمتها وأجبرتها على النظر اليه.

«تستطيعي ان تظني انك تكرهينني» اتهمها بصوت قاسي: «لكنني أعرف انك لست دون احساس نحوي كما تريدينني ان أعتقد».

«اتركني! انك تؤلمني» صرخت والدموع تتجمع في عينيها.

خفف قبضته عليها لكنه لم يتركها وقال: «أستطيع الحصول عليك الآن، اذا أردت أنا ذلك وأستطيع ان أراهن انك لن تقاومي كثيراً أيضاً، لكن اللحظة قد مضت الآن وكذلك الرغبة. فكري بالأمر فرانشي وفكري بهذا أيضاً».

وانحنى عليها وأحنى جسدها بذراعيه ثم قبلها على فمها قبلة قاسية دون رحمة وأدركت انها لا تستطيع مقاومته فتركت نفسها تسحب بموجة العاطفة التي اجتاحتها وجرتها الى حافة الرغبة.

استسلامها كان سيعني انتصاراً تاماً لجيرارد لكنه تركها فجأة وهي ترتعش لتركه لها واستغربت ببرود مظهره مقابل عواصف عواطفها الداخلية.

«من الأفضل ان تدخلي».

صوته كان بارداً ومغلقاً فحدقت به للحظة وشفتاها ترتجف ثم فجأة لم يعد لأي شيء أي معنى فاستدارت وأسرعت الى غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

يا الله! ما الذي يحصل لي؟ تساءلت وهي تشعر بالخزي والخجل مما حدث فللحظة هناك كانت مستعدة للإستسلام له كلياً كانت تريد مشاركته الفراش بكل حاسة من حواسها ولم تكن تفكر بما قد يحدث بعد ذلك.

حاولت ابعاد هذه الأفكار عنها لكنها لم تستطع، من غير الممكن ان أكون واقعة في حبه؟ همست لنفسها باضطراب وهي تذرع أرض غرفتها بقلق: «من غير الممكن ان أكون واقعة في حب رجل قاسي وصلب مثل جيرارد، رجل لم يخف أبداً انه كان يصاحب النساء فقط ليلبي رغباته الجسدية فقط. من غير الممكن ان أكون أحب رجل كهذا؟؟».

أغمضت عينيها بقوة محاولة نكران الأمر لقد سلمت قلبها لرجل لا

www.elromancia.com

يهمه ويريد سوى جسدها! جسدها فقط! وحين يمل منها سينهي زواجهما ويذهب ليفتش عن امرأة جديدة. كانت هذه فكرة مؤلمة وقاتلة لكن عليها مواجهة الحقيقة والواقع. ليس من المجدي ان تؤاسي نفسها بخيالات وأوهام لن تتحقق.

سمعت صوت جيرارد في غرفته وصوت خزائن تفتح وتغلق ثم سمعت صوت باب الشقة يفتح ويغلق. ها هو يذهب الى جاكلين بوارا مفتشاً على الملجأ بين أحضانها المنتظرة.

انعصر قلب فرانشيسكا لهذه الفكرة وحاولت نسيانها وهي تحضر نفسها للنوم لكن الألم استمر وبللت وسادتها بدموعها الغزيرة قبل ان تتمكن بعد فترة طويلة من النوم.

- ٦ -

كانا يجلسان سوياً على طاولة الفطور صباح اليوم التالي حين فاجأها جيرارد بقوله: «لقد أوصيت لك على سيارة صغيرة خاصة بك ولحين تصل السيارة أي لمدة أسبوعين سأرسل لك أحد الموظفين من مكتبي لينقلك بنفسه الى المكان الذي ترغبين بالذهاب اليه».

تصلبت عضلاتها وقالت: «لا، جيرارد أنا لا أريد منك شيئاً، لن أقبل ان تعطيني سيارة والتنقل بالباص لا يشكل ازعاج لي وأيضاً...».

قاطعها بصرامة قائلاً: «لقد سبق وأخبرتك ان ما تريدينه لا يهم ما أريده أنا هو ما سينفذ وآمل الا تضطريني لتكرار هذا مجدداً لمصلحتك».

كانت عيونه تلتمع بشدة وخطورة لكن قررت فرانشيسكا مواصلة مجادلتها.

www.elromancia.com

«ولكن جيرارد لست معتادة على ان يكون عندي سائقاً خاصاً وسأشعر بالخجل و. . .».

«يجب ان تعتادي بسرعة على حياتك الجديدة. ولا يوجد اي داعي لك لتشعري بالخجل أنا أدفع رواتب جيدة جداً للموظفين عندي وعليهم القيام بما أطلبه منهم. هل هذا واضح؟».

كلامه كان منطقياً فاضطرت فرانشيسكا للسكوت على مضض وسألته: «من هو هذا الموظف؟».

«انه شاب يدعى مارك فليتشي وهو قدير ولطيف ويعمل كمساعد لمنفذي المشاريع الهندسية في الشركة».

«متى سيأتي؟» سألته.

«سأرسله لك في الساعة الثانية عشر ظهراً أتودين الذهاب الى عمتك؟».

«أجل وساخرج للتبضع».

«حسناً الى اللقاء الآن فرانشيسكا أراك في المساء».

خرج دون ان يضيف كلمة أخرى. انتهت فرانشيسكا من أعمال التنظيف وحالما انتهت من ارتداء ملابسها رن جرس الباب وكان الواصل مارك فليتشي. كان شاباً بعمرها تقريباً تظهر على ملامحه الوادعة ملامح الذكاء والمرح.

«تفضل بالجلوس سيد فليتشي سأكون جاهزة بلحظات».

«حاضر سيدتي، خذي وقتك» قال بأدب وجلس.

«سيد فليتشي» قالت قبل ان يغادرا الشقة: «أنا أكره ان أكون مصدر ازعاج لأحد».

ظهرت الدهشة على الشاب وبعض الارتباك الا انه قال بصدق: «بصراحة سيدتي انا نفسي قد كرهت فكرة ان أكون سائقاً لأحد، لكن الآن وبعد ان قابلتك فأنا أتطلع قدماً لأكون سائقك الخاص في أي وقت سيدتي».

ابتسمت له بلطف وقالت: «اذا كنا سنرى بعضنا كثيراً في الأسبوعين القادمين فأنا أفضل ان تستغني عن مناداتي بإسم سيدتي

وتستعمل فقط كلمة فرانشيسكا».

«لكن الرئيس لا يشجع الإلفة، سيدتي» قال فوراً.

لم تستغرب فرانشيسكا ما قاله مارك فليتشي فولا أي شخص قد اقترب كفاية من جيرارد ستيفان ليعرف حقيقة الإنسان المختفية خلف قناعه الصلب.

«اذن سأناديك بدوري سيد فليتشي المحترم» قالت.

امتعض مارك وقال: «لا أعتقد ان بإمكاني تحمل ذلك».

«اذن. . . ؟».

«اذن سأفعل كما تقولين وأنت أجمل مبتزة رأيتها في حياتي لكن أدعو الله الا أخطأ وأناديك باسمك المجرد أمام الرئيس والا فإنني سأجد نفسي بلا عمل».

ابتسمت فرانشيسكا بمرح وانطلقت السيارة بهما.

«في أي وقت أعود لآخذك سيد. . . أقصد فرانشيسكا؟».

«في الرابعة ظهراً لو سمحت».

«الى اللقاء».

«الى اللقاء» قالت له مودعة ودخلت الى عمتها.

رحبت بها العمة بسعادة وأخذت تحدق بوجهها وعيونها وقالت: «فرانش أنا فعلاً قلقة لأجلك، لقد كنت سلبية جداً البارحة وأحسست انك تخفين عني شيئاً، لست على عادتك فرانش فما الأمر؟».

«لا شيء عمتي» ردت فرانشيسكا بارتباك.

«هل اكتشفت انك قد تسرعت بالزواج من جيرارد ستيفان؟».

هزت فرانشيسكا رأسها فوراً وقالت: «بالطبع لا عمتي».

«فرانشيسكا انظري الي» أمرتها عمتها: «هل تحبين جيرارد؟».

تشنجت أعصاب فرانشيسكا واعتصر الألم قلبها وهمست: «أجل».

«لا تكذبي علي فرانشيسكا، أريد الحقيقة» أصرت العمة.

«أنا لا أكذب، أنا. . .» وانفجرت الأحاسيس داخلها وأخذت تبكي وهي تعانق عمتها وتقول: «انني أحبه جداً وبقوة كبيرة لدرجة

www.elromancia.com

أنني أشعر بالألم داخلي».

ربتت عمتها على رأسها بحنان وقالت: «هذه المشاعر الجارفة هي عادة موروثة في عائلتنا لقد أحب والدك والدتك بجنون ولهذا هو لم يفكر للحظة واحدة بالزواج بعد وفاتها وجدك بدوره كان متيم بحب جدتك وأنا... أنا كانت لي تجربة حب مأساوية انتهت بموت حبيبي بالحرب وأقسمت منذ ذلك الحين الا أكون أبداً لغيره».

رفعت فرانشيسكا عيونها المندهشة نحو عمتها: «عمتي هذه هي المرة الأولى التي أسمع هذه القصة».

«أجل، وهل اعتقدت ان عمتك كانت عجوزاً هكذا طوال حياتها؟؟ لقد مررت بتلك التجربة وعرفت معنى الحب الهائل الذي تتحدثين عنه انت الآن».

«آه عمتي!» تأوهت فرانشيسكا وعانقت عمتها مجدداً: «لم أكن أعرف ان الحب يسبب كل هذه الأمور».

«هل تشاجرت مع جيرارد؟».

«نعم... ولا» تنهدت فرانشيسكا وهي تمسح دموعها.

«يا طفلتي الحبيبة» قالت ماريللا وهي تبتسم لها بحنان: «كل شيء يحدث للأحسن وهذه المجادلات الصغيرة تساعد دائماً على تنقية الأجواء وتصفية الهواء».

«شكراً لك عمتي، لقد كنت بحاجة للبكاء لكني على ما يرام الآن هيا أخبريني عما كنت تفعلينه هذا الصباح» قالت فرانشيسكا بمرح وتغير الموضوع ونجحت برفع معنوياتها مجدداً من أجل عمتها وعاد القلق ليسيطر عليها من جهة صحة عمتها التي كانت تستغرق لدقائق بالنوم أثناء الحديث وكانت تتعب فوراً وبسرعة. لكن يبدو ان الممرضة فيونا كانت مدركة لهذا الأمر وكانت تهتم براحة العمة وعدم اتعابها.

وصل مارك فليتشي في الرابعة تماماً وانضم اليها في الحديقة.

«هل ترغب بتناول كوب من الشاي معي قبل ان نرحل، الشاي جاهز وبحاجة للصب فقط؟ عمتي نائمة الآن وسنحتاج لنصف ساعة

فقط».

«سأكون أكثر من مسرور لتلبية طلبك فرانشيسكا، فكوب لذيذ من الشاي الآن بهذا الحر يساوي كل كنوز العالم».

ضحكت فرانشيسكا لمبالغته وصبت له الكوب.

ثرثرا قليلاً ثم قال مارك بعد فترة تردد: «فرانشيسكا هناك أمر يقض مضجعي ويزعجني وأرغب بالإعتراف لك به».

شعرت فرانشيسكا بالإضطراب وقالت: «ما هو الأمر؟ تجعل الأمر يبدو وكأنه اعترافاً خطيراً».

«انه خطير وجدي» تحاشى عينيها ونظر الى الفضاء: «أنا أعلم بشأن المال الذي يدين به والدك للرئيس».

«هل هذا كل شيء؟» سألته بهدوء وهي تسيطر على انفعالها.

«كلا» قال بذنب: «التقيت بأحد أصدقائك المقربين مرة، وأخشى أنني قد أطلعته على هذا الأمر».

تجمدت فرانشيسكا: «أعتقد انك تقصد آلان فورد؟».

«أجل» قال بتصلب: «لم أكن أنوي اخباره لكن...».

«كل شيء ظهر بعد كأسين من الشراب» أكملت جملته مستعملة نفس تعبير آلان نفسه.

حدق بها مارك بذهول: «كيف عرفت... أنصد عن كأسي الشراب؟».

«لا تهتم» قالت مجبرة نفسها على الابتسام: «شكراً لك لأنك اخبرتني ولا تفكر بالأمر مجدداً».

«شكراً لك فرانشيسكا» قال وأوصلها الى الشقة ثم رحل.

فكرت فرانشيسكا قليلاً بكلام مارك ثم أدارت قرص الهاتف على رقم الآن.

«الو، أنا فرانشيسكا».

«فرانشيسكا يا للمفاجأة المدهشة لقد كنت على وشك الاتصال بك في هذه اللحظة بالذات لأعتذر عن بعض الأشياء التي قلتها البارحة وكنت آمل ان أدعوك على فنجان قهوة يوم الخميس المقبل».

www.elromancia.com

جمعت فرانشيسكا شجاعتها وقالت: «في الواقع أنا أود رؤيتك أيضاً للتحدث ببعض الأمور الى يوم الخميس اذن».

اندهش آلان لموافقتها السريعة وقال: «الساعة الرابعة في مقهى الباشا».

«سأكون هناك».

«جيد» قال بفرح: «أراك حينها عزيزتي».

حالما وضعت السماعة تساءلت عن مدى صحة ما قامت به لكنها كانت مصممة على قولها له عن رأيها به ولتفعل هذا كان عليها رؤيته وجهاً لوجه.

خلال الأيام القليلة التالية عرفت فرانشيسكا من مارك ان جيرارد كان فعلاً يقضي الساعات الطوال في المكتب لتنفيذهما عقد استثمار جديد يقضي ببناء مجمع تجاري ضخم في مركز مدينة سالت لايك. وشعرت بالارتياح الكبير ان سبب تأخره عن العودة الى المنزل كل ليلة يعود الى ذلك وليس الى جاكلين بوارا. لكن التوتر كان مسيطراً بينها وبين جيرارد فقد ظل هو بارداً ومؤدباً كلما التقيا معاً، جاعلاً من المستحيل عليها التقرب منه وكانت قد بدأت تشعر باليأس من امكانية نجاحها في الوصول اليه.

في الحفلة الخاصة المشتملة على العديد من رجال الأعمال والتي أقيمت في أحد منازل أصدقاء جيرارد في نهاية الأسبوع قابلت فرانشيسكا أخيراً جاكلين بوارا ولم يكن صعباً عليها ان ترى سبب ارتباط جيرارد بعلاقة سابقة معها.

كانت طويلة ذات بشرة بيضاء وردية وجسدها نحيف بصورة كبيرة بعيون سوداء واسعة وملامح مثيرة، لقد كانت أجمل امرأة وقعت عليها عين فرانشيسكا من قبل. اقتربت بجسدها النحيل منهما وكان الثوب الأبيض العاري الأكتاف الذي ترتديه يبدو رائعاً ومناسباً لها وكانت كل النساء تنظر اليها بحسد. نظرت فرانشيسكا محدقة بالعينين السوداوين الواسعتين المكحلة الرموش بماسكارا ثقيلة وبالفم الأحمر المغري الذي انشق قليلاً لدى رؤيتها لجيرارد ووصلت وتأبطت فوراً ذراع

جيرارد.

«كم من المفرح رؤيتك ثانية» قالت له وفقدت عينيها بعض دفئهما حين استقرتا على وجه فرانشيسكا وتابعت: «عرفني على زوجتك يا عزيزي».

لا أحد كان يخمن انهما قد تحدثتا مع بعضهما البعض من قبل ولم تستطع فرانشيسكا الا ان تعجب بجاكلين وبتصرفها الطبيعي والمتظاهر بالفرح حين عرفهما جيرارد. لم يحاول ان يحرر نفسه من الذراع الذي كان يحيط بذراعه، لاحظت فرانشيسكا ذلك وانتابها ذلك الشعور المرعب ان عيون الجميع كانت مركزة عليهم بفضول واضح.

«عزيزتي، كنت متشوقة جداً لألتقيك وعلينا ان نتقابل لاحقاً لنثرثر. جيرارد وأنا قبل كل شيء، أصدقاء قدامى. ألسنا كذلك يا عزيزي؟» سألت جاكلين بدفء في صوتها وهي تحدق بجيرارد مقترحة حميمية خاصة بينهما كانت كالسوط الذي عصر قلب فرانشيسكا.

«انت تتزلقين بالكلام جاكي» اتهمها جيرارد بنعومة: «كان هناك وقت لم تكوني أبداً تستعملي كلمة قديم فيما يختص بك وبأمورك».

«انت قاسي يا عزيزي وأنا لا أعرف لماذا أتحمل هذه الملاحظات منك» قالت جاكلين بهدوء وهي تترك ذراعه: «كن لطيفاً وأحضر لي شراباً».

فتشت عينا جيرارد عن فرانشيسكا وقال: «سأعود بعد لحظة».

هزت رأسها بتصلب وتمنت لو تلحق بالقامة الطويلة التي كانت تبتعد لأن فكرة بقاءها وحيدة مع هذه المرأة كانت تخيفها.

لم تعد جاكلين مضطرة لإظهار المودة وقالت: «أظن انك لم تخبري جيرارد بمكالمتنا السابقة؟».

«كلا».

«هذا تصرف حكيم منك يا عزيزتي» ابتسمت جاكلين برضى ولمحة انتصار تلمع داخل عينيها الباردتين: «فالرجال لا يحبون أبداً

ان يعتقدوا ان النساء تستطيع التنبؤ بتصرفاتهم».

«يبدو وكأنك لا تزالين واثقة انه سيعود راكضاً اليك».

«لا شك في هذا عزيزتي، أنا أعرفه جيداً لأخطىء بمثل هذا التنبؤ» قالت جاكلين بثقة ملأت فرانشيسكا باليأس: «انت لا تملكين المواصفات التي تربط رجلاً مثل جيرارد» تابعت ونظرتها تمسح جسد فرانشيسكا الناعم بثوبها الحريري الأسود: «قبل مضي وقت طويل سيسأم من براءتك المتوسلة الطفولية وسيدرك ان فقط امرأة مثلي أنا تستطيع ان ترضيه تماماً».

تصلبت يد فرانشيسكا على جانبها وتكورت في رغبة بصفع هذا الوجه الجميل أمامها. هذه المرأة كانت ذكية ومتحسبة وفي الوقت الحالي هي التي كانت أقوى تاركة فرانشيسكا مدركة هذا بألم.

شق جيرارد طريقه نحوهما وكادت فرانشيسكا تصرخ من الفرح حين رأته بجانبها لكنها تماسكت بسرعة وأخفت فرحتها.

«شرابك جاكلين».

«عزيزي انت ملاك».

تلامست أيديهما قليلاً فيما أخذت جاكلين الكأس بحركة متعمدة من طرفها فكرت فرانشيسكا لتثبت لها كلامها بالرغم من أن جيرارد بدا عادياً ولم يلاحظ أي شيء غير عادي. وهو ينظر عبر الغرفة باهتمام.

«اعذرينا جاكي، لكن يجب ان أتحدث مع السيد ماكوردو».

تقبلت جاكلين هذا وشعرت فرانشيسكا بذراع جيرارد خلف ذراعها ليدلها الى اتجاه سيرهما نحو رجل طويل القامة نوعاً ما كان يقف في زاوية الغرفة. تمت التعريفات وأدركت فرانشيسكا فوراً ان هذا الرجل أمامها هو من سيقرر ان يربح جيرارد مناقصة بناء المجمع التجاري أم لا.

«أستطيع ان أرى الآن لماذا أسرع جيرارد بالتخلي عن العزوبية» قال وهو ينظر بإعجاب الى فرانشيسكا التي لون الحياء وجنتيها الشاحبتين: «لو كنت أصغر بثلاثين عاماً لكان تعرض لمنافسة

مني عليك».

«انه لطف منك ان تقول هذا سيد ماكوردو» قالت بابتسام وهي تفلت يدها من يده حين شعرت بنظرة جيرارد الساخرة.

«سيد ماكوردو هل نستطيع التكلم بالعمل؟».

«بالطبع يا عزيزي» قال ماكوردو موافقاً وأدركت فرانشيسكا ان عليها الانسحاب.

«أعتقد أنني سأتمشى قليلاً على الشرفة عن اذنكما» قالت بسرعة وغادرت باتجاه الشرفة.

شدت شالها حول كتفيها بسبب الهواء البارد وشعرت بالرجفة داخلها. لم يكن القمر ظاهراً والظلام كان يغلف كل شيء وأسرعت بالوقوف خلف أحد الأشجار القريبة لتبتعد عن الضجة بالداخل وعن جاكلين بوارا التي كانت في وسط الجموع تحاول بتعمد ان تشعر جيرارد بالخسارة التي خسرها بانتقائه زوجة أخرى غيرها. كانت تجربة مذلة تجربة لقاءها مع جاكلين لكنها أدركت انه كان عليها الإلتقاء بها عاجلاً أم آجلاً. هي تدرك الآن على الأقل طبيعة المرأة التي تقف أمامها ومن الواضح ان جاكلين لا تنوي الاستسلام والتنازل بسهولة شيء واحد يجب على فرانشيسكا ان تفعله وهو ان لا تجعل جيرارد يعرف أبداً حقيقة شعورها نحوه!.

ضائعة في أفكارها لم تدرك فرانشيسكا الوقت الذي ظلت فيه في مكانها، لا بد انه أكثر من نصف ساعة وصوت المرأة التي سمعته قربها فجأة أعادها الى رشدها.

«جاكلين بوارا تبدو أصغر سناً كلما رأيتها. أتساءل كيف باستطاعتها ان تبدو هكذا؟».

«بامتلاكها هذا الجسد» قالت رفيقة المرأة: «ليس عليها الا ان تنتبه الى طعامها».

«أعتقد انك حين تكونين عارضة أزياء وتريدين ان تبقي في القمة في عملك فيجب عليك ان تنتبهي لطعامك».

فرانشيسكا كانت في حيرة ان تظهر نفسها أم لا عندما قالت احدى

النساء شيئاً جعلها تتقلص أكثر في مكانها.

«أتساءل كيف هو الشعور حين تتواجهين وجهاً لوجه مع عشيقة زوجك؟».

حبست فرانشيسكا أنفاسها فيما قالت المرأة التالية: «عشيقة سابقة».

«أتساءل...» قالت المرأة الأولى: «الأشياء كانت مشتعلة بينهما خلال السنتين السابقتين ولا أظن ان جاكلين تستسلم دون قتال».

تمنت فرانشيسكا لو أنها أظهرت نفسها قبل ان يصل الحديث الى هذه النقطة لكن الوقت قد فات الآن وعليها الاستماع بألم لما يقال.

«زوجة جيرارد جميلة جداً» تتابعت المحادثة بين المرأتين.

«نعم لكنها لا تقارن بجاكلين» قالت احداهما: «جاكلين تملك الخبرة الكافية في استرداد ما تريده وبصراحة أنا لا أتمنى الآن ان أكون مكان فرانشيسكا ستيفان».

«هل تظنين ان جاكلين تخطط لتحطيم زواجهما؟».

«أنا ليس فقط أظن ذلك بل أعرفه. ألم تري الطريقة الذكية التي سحبت بها جيرارد قبل قليل من رفقة ماكوردو وأغوته للخروج معها الى الحديقة منذ بعض اللحظات».

شعرت فرانشيسكا بفأس يغرز في قلبها واستندت على الحائط وراءها فيما بدأت ساقيها ترتجفان.

«كلا، لم أر» تتابعت المحادثة.

«حسناً اذن كوني أكيدة انه ليس بسبب الصداقة البريئة التجأ سوياً الى تلك الحديقة الضخمة، أتمنى فقط ان تراهما زوجته وهما يغادران الغرفة».

واختفت المرأتان ولم تعد فرانشيسكا ترى شيئاً سوى جيرارد وهو بين أذرع جاكلين، قد يقاومها قليلاً في البداية لكنه لا شك وسيستسلم لسحرها وجاذبيتها فهي المرأة التي كانت عشيقته... ولربما لا تزال مع بعض التشجيع.

أسرعت بالتحرك من مكانها لتهرب من الفكرة التي كانت تمزقها

واصطدمت بشخص كان يقف في الظلال وأمسكتها اليدان لتمنعاها من السقوط.

«آه» قالت باعتذار حين رأت السيد ماكوردو أمامها: «أنا... أنا آسفة لم أرك في هذا الظلام».

«لا بأس» قال بابتسام: «فأنا أخرج لتنشق الهواء النقي انت تعلمين هذه الحفلات والجو العابق، لا أعتقد انك تمانعين في رفقة عجوز ألست كذلك؟».

«لا أمانع بتاتاً» قالت وهي تشعر بالامتنان فجأة لعدم اضطرارها للبقاء وحدها مع أفكارها فيما جيرارد...

تماسكت بإرادة قوية وجلست مع السيد ماكوردو على أحد المقاعد الخشبية.

«تعلمين ان زوجك هذا يقوم بمساومة ناجحة دائماً» قال أخيراً ورائحة سيجاره تعبق حولها.

«هل هو كذلك؟» سألت بتشنج مترددة في الحديث عن الشخص الوحيد في العالم الذي يستطيع ايذائها وايلامها.

«هل تعرفين عن المركز التجاري الجديد الذي ننوي بناءه سألت لايك؟» سألها السيد ماكوردو.

«لقد سمعت عنه أجل».

«في الواقع أنا في حيرة من أمري أوكل شركة ماجيك أم شركة سترايك؟ انها خيار صعب علي اتخاذه».

تساءلت فرانشيسكا عن سبب نقاشه لهذا الأمر معها لكنها أرادت أي شيء ليشغلها عن التفكير بجيرارد وجاكلين.

فسألته: «ما هي العوامل التي تعتمد عليها لإختيار شركة البناء الهندسية؟».

«حسناً، هناك الرسومات والخطط الهندسية، ونوعية عمال الشركة».

«هل تكاليف هذا المشروع له علاقة بقرارك أيضاً؟».

«نعم وكثيراً في الواقع، وهذا هو سبب حيرتي. فأنا معجب بما

يقدمه جيرارد لنا مثلاً لكن سعره عالياً جداً» ودخن سيجاره ونظر اليها قائلاً: «ماذا كنت ستفعلين لو كنت مكاني؟».

«أخشى أنني لا أعرف الكثير عن أعمال زوجي وطبيعتها لأعلق على هذا الأمر وأيضاً أنا لا اريد أن أؤثر عليك بطريقة أو بأخرى» قالت بدهشة قليلاً لسؤاله مثل هذا السؤال لها.

السيد ماكوردو أبعد السيجار عن فمه وطأطأ رأسه مفكراً وقال: «جواب منطقي جداً. وجواب رفع من تقديري لك، لكن بدون تخصيص، ماذا كنت ستفعلين؟» ولمس ذراعها بلطف مشجعاً اياها بقوله: «هيا لا ترددي أعطيني رأيك».

قالت: «انطلاقاً من تجربتي الشخصية فقط، أنا حين أريد ان أشتري شيئاً قيّماً أنا دائماً أدفع مبلغاً أكبر لأحصل عليه لكنني لا أندم على هذا لاحقاً أبداً».

ظل السيد ماكوردو صامتاً للحظات ثم نظر اليها وقال: «أتعلمين يا عزيزتي، لقد أعطيتني شيئاً لأفكر به».

لم تدرك فرانشيسكا معنى هذه الملاحظة تماماً، ولم يعطها السيد ماكوردو الفرصة لتخمن ذلك فقد غير الموضوع فوراً وأخذا يتحدثان في مواضيع مختلفة وبعد لحظات دخلا معاً الى الداخل وعرفها السيد ماكوردو على زوجته، امرأة ناعمة ولطيفة أحبتها فرانشيسكا فوراً. وأخذتا تتحدثان سوياً ولاحظت فرانشيسكا غياب جيرارد عن الغرفة لكنها تجاهلت الأمر.

عاد جيرارد بعد بعض الوقت وانضم اليها وتحضرت نفسياً وجسدياً لتجاهل ما حدث. استمرت السهرة الى ما لا نهاية وانفرجت أسارير فرانشيسكا حين أعلن جيرارد أخيراً ذهابهما وكان آل ماكوردو في طريقهما للخروج أيضاً.

فاقترب السيد ماكوردو من جيرارد وقال: «سأراك في مكتبك صباح الاثنين جيرارد وعندها ستتفق على كل شيء».

أمسكت فرانشيسكا أنفاسها فيما سأل جيرارد بهدوء: «هل يعني انك قد قررت توكيل شركتي، سيد ماكوردو؟».

«نعم» قال ماكوردو مؤكداً: «وتستطيع ان تشكر زوجتك الرائعة لهذا!».

وانطلقت سيارة آل ماكوردو بعد لحظات على الطريق الواسع وركابها غير عالمين بالحالة المتفجرة التي تولدت من جراء تلك الملاحظة الناعمة المرحة. عينا جيرارد كانتا تحدقان بها في الظلام وحاولت قول شيء ما لكنها لم تستطع فأرجأت الأمر لحين يهدأ جيرارد ويخف غضبه.

الجو داخل السيارة كان متوتراً لكن فرانشيسكا ارتعشت داخلياً متحاشية الغضب البارد الذي كان يلتمع داخل عينيه الرماديتين فيما هو يغلق باب الشقة وراءه ويتبعها الى غرفة الجلوس.

«هلا تلطفت وشرحت لي ماذا كان ماكوردو يقصد بملاحظته تلك؟» صوته العميق كان يهتز من الغضب المكبوت لكنها شعرت بالارتياح لبدء العاصفة أخيراً فأي شيء يكون أسهل من صمته القاتل.

جمعت فتات شجاعتها وأخبرته بهدوء قدر المستطاع الحديث الذي دار بينها وبين السيد ماكوردو.

استمع لها جيرارد بصمت ثم ابتسم بسخرية حين انتهت وقال: «لا يبدو سيئاً بعد كل شيء ان يكون للمرء زوجة فهذا قد يكون مساعداً في بعض الأحيان».

ملسوعة من ملاحظته الساخرة قالت له بتهكم: «هل يخدش كبريائك ان تفكر أنني قد أنجزت شيئاً في وقت قصير كان سيلزمك وقتاً أطول لتنجزه بنفسك؟».

ابيض وجه جيرارد للحظة وظنت انه سيضربها لكنه سيطر على أعصابه بجهد واضح وقال بصوت صارم: «حين يتعلق الأمر بالعمل فرانشيسكا، أفضل القيام بالأشياء على طريقتي الخاصة، وليس من وراء تنانير النساء».

«لم يكن عندي أي نية في التأثير عليه جيرارد والسيد ماكوردو كان مدركاً لهذا جيداً» قالت له بهدوء: «أصر على سماع رأيي وأعطيته اياه

www.elromancia.com

من زاوية شخصية محضة. اذا كانت النتيجة لا تعجبك فأنا اذن آسفة جداً لكن صدقاً أنا لم أكن ناوية أبداً ان أؤثر عليه وأجعله يقرر لصالحك».

«ألم تفعلي؟» سألها بشك ونظرته تهينها: «ألم تعتقدي ربما، انه بما انك قد فشلت في دورك كزوجة فستحاولين التعويض عن هذا الفشل بهذه الطريقة؟».

سحبت نفساً حاداً لتخفي ارتعاشة الألم والغضب في صوتها وقالت: «أخشى ان ضميري لا يحكم تصرفاتي تماماً كما ان ضميرك لم يحكم أفعالك هذا المساء».

«وما المفترض بهذا ان يعني؟».

تراجعت فرانشيسكا الى الوراء لا ارادياً حين اقترب خطوة نحوها وقالت: «عندما اختفيت في الحديقة انت وجاكلين هذا المساء، لقد شوهدت».

«آه!... هكذا اذن!» ابتسم قليلاً.

«انت على الأقل عندك الصراحة كي لا تنكر ذلك» صرخت به.

«ولماذا أنكر ذلك؟».

«لا أعتقد انك فكرت للحظة ان تصرفك هذا قد يهينني ويصغرني في أعين الجميع، وأن الجميع سيقولون ان من الغريب انه بعد مرور أسبوعين فقط على زواجنا لم تستطع الانتظار لتنفرد مع... مع...».

«عشيقتي؟» ملأ لها الفراغ باستهزاء: «هل هذه هي الكلمة التي تفشتين عنها؟».

«نعم» قالت والألم يعتصرها لتذكرها محادثة المرأتين.

«انت لا تستحقين أي اعتبار واهتمام مني فرانشيسكا. انت لم تناليه، وحتى ذلك الوقت...» تردد وتصلبت ملامحه بقسوة: «عليك فقط تقبل الوضع كما هو».

«انت لن تبتزني لأشاركك الفراش جيرارد» قالت بإلحاح بعد فترة صمت.

«هل تريدينني ان أستعمل وسائل اقناع أخرى؟».

والتمعت عيناه بخطر وهو يقترب منها. لكنها تراجعت فوراً صارخة: «لا تلمسني».

«خائفة من أنني قد أنجح؟» سخر منها دون رحمة ولون الدم وجنتها لتذكرها سهولة استجابتها مع عناقه سابقاً.

«أليس معانقة واحدة في المساء تكفيك لهذا اليوم؟».

اندفعت قائلة في دفاع عن النفس لكنها ندمت فوراً على كلامها حين اشتعل الهواء بينهما.

«لا تعتمدي على حظك كثيراً فرانشيسكا، كنت صبوراً كثيراً معك لكن لي حدودي» قال بخبث وعضلات فكه متصلبة في جهد واضح ليتحكم بأعصابه وقال: «تصبحين على خير».

فرانشيسكا كانت غاضبة ومجروحة بعمق لتتأثر بتهديد جيرارد في تلك الليلة لكن عندها السبب، لتتذكر هذا التهديد لاحقاً بأكثر من مجرد تفكير.

«أنا سعيد جداً لتمكنك من المجيء» قال لها الآن وهما يجلسان وجه لوجه لتناول فنجاناً من القهوة في المقهى يوم الخميس. انزلقت نظراته على ثوبها الأزرق وابتسم بدفء قائلاً: «تبدين رائعة».

«شكراً» أجابته ببرود مصممة على التركيز على سبب مجيئها: «هناك شيء أريد مناقشتك به».

«تبدين جدية جداً يا حلوتي».

«انها مسألة جدية» قالت له بصرامة: «انها حول لقائك مع مارك فليتشي».

شحب وجه آلان بوضوح وسأل: «انت تعرفين؟».

هزت فرانشيسكا رأسها: «كان تصرفاً مخادعاً منك الآن، أنا أرتعش لمجرد التفكير بما قد يحدث اذا علم جيرارد بالأمر وأن الشخص الذي يثق به ويطلعه على أمور سرية قد خان ثقته وخذله».

«أنا آسف لهذا، لكن لم أستطع منع نفسي من الشعور انك قد أجبرت على الزواج من جيرارد ستيفان» شرح لها باعتذار: «واعتقدت

انني كنت أتصرف لحمايتك انت».

«حسناً، أتمنى لو انك لم تفعل».

حدق آلان بكوبه للحظات قبل ان يسألها: «كيف عرفت؟».

«مارك اعترف. انه من نوع الأشخاص الجيدين والذين يشعرون بالإضطراب لأنهم تصرفوا بدون اخلاص. أتمنى فقط ان لا يدفعه ضميره الى الاعتراف لجيرارد نفسه».

«فرانش أنا آسف... حقاً أنا كذلك».

«يجب ان تكون».

- ٧ -

لمست يده يدها عبر الطاولة وسأل: «ألن أسامح أبداً؟».

ملامحه كانت كالطفل المذنب الذي التقط وهو يسرق البسكويت فذاب غضبها وقالت: «لطالما كنت أقدر صداقتك آلان، لكن هناك حدود لما قد يخفيه المرء عن أصدقائه».

«لن يحدث هذا مجدداً فرانشيسكا، أعدك بذلك» وأمسكت يده يدها بقوة: «فقط انظري الي وأخبريني بصراحة - هل تحبين زوجك؟».

ترددت فرانشيسكا للحظة وهي تسأل قلبها عن الجواب، لكن بالرغم من كل شيء شعورها نحو جيرارد كان قوياً متملكاً لدرجة كبيرة تتخطى أي عقبات موجودة بينهما أدركت هي هذا وهي تنظر الى آلان وتقول بهدوء: «ليس لك الحق بسؤالي هذا السؤال الشخصي جداً لكن اذا كان هذا سيريحك ويبعدك عن تصرفاتك المجنونة فإذن

www.elromancia.com
مـــرجـــوريـــة

نعم... أنا أحب جيرارد، أحبه كثيراً».

وشحب وجه آلان لرؤيته الحقيقة في عينيها وتصلبت شفتاه وقال: «أنا أحسده».

«آلان!».

هز رأسه ونظر بعيداً: «أنا آسف، لكنها الحقيقة».

وانعصر قلب فرانشيسكا، كانت غير راغبة في ايذائه لكن لم يكن في يدها أي شيء لتمنع عنه الايذاء. ما عدا عدم رؤيته مجدداً ومصممة رأيها دفعت كرسيها ونهضت قائلة: «شكراً على القهوة آلان».

«لا تذهبي بعد» احتج ممسكاً برسغها.

«يجب ان أذهب».

«في أي ساعة يعود جيرارد الى البيت؟».

«انه...» عضت شفتها وتابعت: «حسناً هو لن يأتي للعشاء اليوم. انه سيعمل حتى ساعة متأخرة».

«أتتناولي العشاء معي؟».

«لا أستطيع».

«فقط لتظهري لي انك لا تكنين أي مشاعر سيئة نحوي» ألح ووجدت نفسها توافق على طلبه.

«سأتناول العشاء معك لكن بشرط ان تعيدني الى البيت قبل الساعة السابعة والنصف».

«كما تشائين» وابتسم بفرح.

تناولا العشاء في مطعم صغير كان يعرفه آلان ووجدت فرانشيسكا نفسها مرتاحة لرفقته تماماً كالسابق. هي وآلان يتناولان العشاء ويثرثران معاً بمرح قبل ان يدخل جيرارد حياتها ويشركها في زواج نهايته فقط ستكون محطمة لقلبها.

وتخيلت وجه جيرارد أمامها بعينيه المتهمتين وشعرت بالذنب بالرغم من عدم وجود أي سبب لذلك. وأخيراً ارتاحت حين نهض آلان ليذهبا.

«متى أراك مجدداً؟» سألها وهو يغلق باب الشقة ويتبعها الى الداخل.

«لا أعتقد انه من الجيد ان نلتقي دائماً» حاولت دفعه بلطف.

«فرانشيسكا...».

«لطالما كنت صديقاً عزيزاً آلان لكن على صداقتنا ان تنتهي الآن بعد ان أصبحت متزوجة».

«انت على حق طبعاً» وافقها بسرعة ولمحة حزن داخل عينيه فيما أمسك بوجهها بين يديه: «انتبهي لنفسك يا حلوتي».

قبلها بنعومة على شفتيها ولم تفكر للحظة في مقاومته، كانت قبلة دون عاطفة، قبلة بين أصدقاء يفترقان.

«هل أنا أقاطع شيئاً ما؟».

بذهول دفعت فرانشيسكا آلان عنها وتجلدت مفاصلها وهي تحدق بالتعابير العاصفة التي كانت على وجه زوجها.

«جيرارد!» لم تستطع الا النطق باسمه وهي تفتش بذعر عن كلمات أخرى لكن آلان أول من استفاق من الصدمة والدهشة.

«مساء الخير سيد ستيفان» قال بهدوء وهو يمد يده ليصافح جيرارد: «أنا آلان فورد صديق قديم لفرانشيسكا».

«حقاً؟» علق جيرارد ببرود وكأنه لا يعرف هذا من قبل وتجاهل يد آلان الممتدة نحوه وسأله: **«هل كنت في طريقك للخروج؟»**

«حسناً... نعم» أجاب آلان بتردد وقد أنزل يده بارتباك.

«اذن لا تدعنا نؤخرك».

كان هناك عدم تأكيد في نظرته حين نظر آلان الى فرانشيسكا لكن هي شاعرة بالغضب المكبوت في جيرارد قالت بسرعة: «الى اللقاء آلان».

تردد آلان قليلاً قبل ان يستدير ويتجه نحو المصعد لكن جيرارد لم ينتظره ليستقله بل أغلق الباب بالمفتاح والتفت نحو فرانشيسكا. وفجأة أصبحت الصالة صغيرة لتسعهما مع جيرارد فمشت بساقين مهتزين نحو غرفة الجلوس وجيرارد يتبعها.

www.elromancia.com

الصمت بينهما كان قاتلاً والخوف صلب معدتها وهي تراه يخلع سترته وربطة عنقه ويرميهما على الكنبة أمامه قبل ان يتجه نحوها ونظرة مرعبة في عينيه جعلت الدم يهرب من عروقها.

«أستطيع ان أخنقك» تمتم من بين أسنانه المصطكة وصوته يجلدها.

«جيرارد أستطيع ان أشرح لك» بدأت مبتعدة عنه.

«أنا واثق انك تستطيعين» قال ضاحكاً لكن ضحكته كانت أكثر رعباً من أي شيء عرفته من قبل.

«تلك القبلة لم تعني شيئاً» احتجت وقلبها يقفز من صدرها حين أمسك بها بحركة واحدة.

ذراعه الحديدية صلبتها على صدره الصلب فيما يده الأخرى أمسكت بشعرها وشدت رأسها الى الخلف بألم مجبراً وجهها الى مواجهته وعينيها متحجرتين وهي تنظر الى وجهه الغاضب المسود. لم يكن من أي علامة رحمة في هذه الملامح وأدركت فرانشيسكا ان شيئاً لن ينفع لإفهامه والشرح له وهو في قمة غضبه هكذا.

«أنا لا أتصرف بلطف مع من يعتدي على ممتلكاتي، وذلك الشاب الطفولي الملامح كان يفعل هذا بالضبط!» رمى بالكلمات.

«أنا لست من ممتلكاتك» احتجت بغضب محاولة الإفلات من قبضته لكن محاولاتها جعلتها تشعر أكثر بوجوده، بقوته بعضلاته المتصلبة التي كانت تمنعها من الحراك وبصدره الصلب الذي يكاد يلتصق بها بعد ان سقط قميصه دون ان تدري كيف.

«انت لي فرانشيسكا، سواء أحببت ذلك أم لا» قال بصوت كثيف وهو يثبت يداها وراء ظهرها بالرغم من محاولتها الفاشلة لمنعه.

«لقد تحملت كفايتي منك» أضاف وفمه حاراً ومتلهفاً وهو يطبق على فمها مسكتاً احتجاجاتها.

حملها وهو لا يزال يقبلها على فمها، ضربته بقبضتيها على صدره ناعتة اياه بكل الكلمات التي أتت على بالها حين أوقفها على الأرض قرب السرير وانطلقت صرخة يائسة منها.

كان يتنفس بثقل والغضب بفوق رغبته ويداه تؤلمانها أكثر مما تلامسانها لكن جسدها ضعف أمامه بالرغم من ان عقلها كان يصرخ: «ليس هكذا! ليس بغضب!».

«جيرارد انتظر» همست بتوسل يائس وهو يقبلها ويشعل النار في عروقها وجسدها وتدافعت الدموع من عينيها وهي تهمس: «جيرارد، أرجوك، لا تفعل هذا بي».

«اخرسي» قال وهو يسكتها بفمه.

وانهمرت الدموع على خديها حتى شعرت بطعم الملوحة على فمها. كل جزء فيها كان يرفض بربريته وقسوته. هي لا تنكر انها أحبته وأرادته لكن ليس هكذا، ليس بسبب الغضب وليس بسبب رغبته الوحيدة في عقابها.

رفع جيرارد رأسه فجأة وابتعد عنها ليضيء النور.

«يا الهي» قال بتعجب ونظرة قرف تعلو وجهه وهو يحدق بها: «اذا كان هناك شيء واحد يثير ازدرائي في العالم فهو ممارسة الحب مع امرأة تبكي فكرة فقدانها لعذريتها».

وابتعد عنها وأمسك بقميصه وبنطاله ونظر اليها بعينين متقلصتين وهي تسحب الغطاء لتغطي جسدها المرتجف وتابع: «أو لربما كان السبب خوفك من اكتشافي انك قد فقدت عذريتك فعلاً من قبل؟».

«هذا ليس صحيحاً» صرخت بصوت مخنوق وقد مزقها اتهامه ثم استدارت عنه ودفنت وجهها في مخدتها وبعد لحظات صفق جيرارد باب غرفتها وراءه بقوة اهتزت لها النافذة.

وظلت في مكانها كأنها لا تجرؤ على التحرك وبعد لحظات سمعت صوت باب الشقة يصفق فأدركت انه قد غادر وشعرت بالأمان وبدأ كتفيها يرتجفان وبدأت تبكي بصمت.

عينيها كانتا لا تزالان حمراوين ومنتفختين حين خرجت من الحمام بعد ساعة تقريباً، وكانت ساقاها ترتجفان وهي تتجه نحو المطبخ لتحضر لنفسها كوباً من القهوة. نظرت الى انعكاس وجهها على الصينية اللامعة وأدركت ان حياتها كلها قد تشعثت منذ لقاءها

وزواجها بجيرارد ستيفان. لا شيء يبدو منطقياً لقد حاول امتلاكها وهو في قمة غضبه لكن وبسبب حبها العميق له لم تستطع التجاوب معه وهو في هذه الحالة. لو انه فقط كان لطيفاً حنوناً.

«آه يا الهي، تنهدت بألم وهي تضع رأسها بين يديها: «يجب ان أكرهه، لكني لا أستطيع. أريد فقط ان أحبه لكني لا أجرؤ ولا أعرف ماذا سأفعل بهذا الشأن».

حين توقفت عن الارتجاف أخيراً شربت القهوة وذهبت الى السرير لكن نومها ظل متقطعاً طوال الليل واستيقظت في الثامنة صباحاً لتجد ان جيرارد قد غادر الى المكتب.

ارتدت ملابساً خفيفة ومشطت شعرها بقوة حتى أصبح لامعاً ثم أضافت لوجهها بعض مساحيق التجميل قبل ان تنزل الى المطبخ. قطعة من الساندويش كان كل ما تبقى من الفطور الذي أعده جيرارد لنفسه فأخذتها فرانشيسكا وصبت لنفسها كوباً من العصير ثم خرجت الى الشرفة اتجه بصرها دون وعي الى جهة منزل عمتها وشعرت باشتياق للأمان والحنان الموجودان هناك. فذهبت الى المكتب بعد انتهاءها من الأكل واتصلت بمارك ليأتي اليها.

دقائق قليلة بعد هذا ودق جرس الباب، من المستحيل ان يكون الطارق مارك فهو لا يملك أجنحة ليصل بهذه السرعة والموعد ليس موعد عمال التنظيفات. تساءلت فرانشيسكا عن الطارق وهي تفتح المزلاج وشعرت بالذهول حين رأت أمامها جاكلين بوارا بقامتها الفارعة.

«فرانشيسكا عزيزتي هل تسمحين لي بالدخول؟» سألت بلطف ودخلت دون سماعها الإذن ورائحة عطرها الثمين تملأ أنف فرانشيسكا.

«في الواقع كنت على وشك الخروج» قالت فرانشيسكا بحركة دفاع عن النفس مستغربة عن سبب هذه الزيارة المفاجئة والمبكرة.

لا وقت طويل عندي لأضيعه أنا بدوري، لكني واثقة انك تستطيعين اعطائي دقائق قليلة من وقتك» وابتسمت جاكلين بدف،

مخادع وشعرت فرانشيسكا بارتعاشة في عامودها الفقري.

«اذا كان شيئاً مهماً...».

«انه مهم لي نعم» أصرت جاكلين ومشت الى غرفة الجلوس كأنها هي صاحبة المنزل وجلست بأناقة على أحد الكراسي وانتظرت جلوس فرانشيسكا حتى تبدأ كلامها: «اعتقدت ان علينا معرفة بعضنا أكثر. فبعد كل شيء...» ابتسمت بخبث: «نحن لدينا شيء مشترك، السنا كذلك؟».

«انت تعنين جيرارد بالطبع!».

«بالضبط» اعترفت جاكلين وهي تحدق بأصابعها المطلية بعناية: «هو لن يكون أبداً زوجاً مخلصاً، يجب ان تعرفي هذا».

تنبهت أعصاب فرانشيسكا فوراً: «لم أتخيل أبداً انه سيكون غير ذلك».

«الا يهمك الأمر؟».

«كلا» قالت فرانشيسكا متحكمة بملامحها: «هل يجب ان يهمني؟».

حاجبا جاكلين الجميلين ارتفعا قليلاً بتعجب وقالت: «يجب ان أقول ان هذا تصرفاً غير عادي لكن لربما هو جيد على كل حال. بهذه الحالة انت لن تتأذي» وبحركة واحدة كانت قد نهضت: «آه، حسناً كان بودي البقاء لوقت أطول لكن يجب ان أذهب يا عزيزتي... وأرجعي من فضلك هذه لجيرارد» ورمت بولاعة جيرارد الذهبية على الطاولة وفرانشيسكا التي نهضت بدورها شعرت بقدميها يهتزان فيما أكملت جاكلين: «لقد تركها في شقتي الليلة الماضية، الى اللقاء الآن».

كان هناك نظرة انتصار في عيني جاكلين وهي تغادر الشقة. لقد سجلت هدفاً وهي تدرك ذلك. أمسكت فرانشيسكا الولاعة ورأت أحرف اسم جيرارد المحفورة عليها اذن هي فعلاً ولاعته وتهالكت على المقعد، كانت تتوقع شيئاً كهذا لكن تأكيد الأمر الآن كان كالخنجر الذي انغرز في قلبها. اذن فهو فعلاً قد عاد الى جاكلين

ربما بسرعة لم تكن جاكلين نفسها تتوقعها وأكثر ما كان يؤلم فرانشيسكا انها هي نفسها من دفعت بجيرارد الى أحضان جاكلين.

تماسكت بصعوبة كبيرة متذكرة ان مارك على وشك الوصول ليقلها الى منزل عمتها وتمكنت فعلاً من اخفاء اليأس العارم الذي كان داخلها وتحدثت معه بطريقة عادية وحين وصلت الى منزل عمتها أنستها نظرة القلق على وجه الأخت فيونا أحزانها وأسرعت الى غرفة عمتها التي كانت غارقة في أحلامها وحالتها المتردية ولم تلاحظ التغيير في مظهر فرانشيسكا.

أمضت فرانشيسكا اليوم بأكمله في غرفة نوم عمتها التي كانت مستلقية على السرير وسارحة في أحلامها وتخيلاتها وكانت تنطق بعض الأحيان ببعض العبارات عن الماضي وعن شقيقها وحبيبها. وزاد هذا الثقل من أثقال كاهل فرانشيسكا وأحست ان هذا أسوأ يوم مر عليها في حياتها.

خرجت الى الحديقة وبكت، بكت مطولاً وعادت بعد ذلك لتلقي نظرة على عمتها قبل ان تذهب فبعد وقت قصير سيصل مارك ليعيدها الى شقتها وجيرارد.

أخرجتها الأخت فيونا من الغرفة مجبرة اياها ان على عمتها الخلود للراحة الآن.

«كانت لها حياة طويلة وسعيدة فرانشيسكا» واستها الأخت فيونا في الوقت الذي قضياه معاً قبل وصول مارك: «حياتك انت تبدأ لتوها» تابعت بحكمة.

«كيف بإمكاني التفتيش عن سعادتي فيما عمتي الحبيبة...» وانقطع صوت فرانشيسكا وتماسكت فهي لا تريد البكاء أمام المرأة القوية هذه.

أجلست الأخت فيونا فرانشيسكا على كرسي وقطبت وهي تنحني قربها وتقول: «قد يبدو هذا مستهجناً لك، لكن لا تدعي سعادتك انت تفلت من بين أصابعك بسبب قلقك على عمتك».

«سيكون غير انسانياً ومستحيلاً تماماً لي الا أقلق وأهتم» احتجت

فرانشيسكا.

«سيكون غير انسانية أكثر ان تدعي زواجك يعاني ضربة قاصمة كنتيجة لهذا».

تصلبت فرانشيسكا: «ماذا تقصدين؟».

«لقد مضى على زواجك أسبوعين فقط وبدلاً من ان تكوني امرأة مشعة نضرة متفتحة ها قد أصبحت شاحبة وبائسة. فكري بهذا» أضافت بتفكير: «الوقت الوحيد الذي رأيتك فيه حقاً سعيدة كان قبل وفاة والدك».

«انت تضخمين الأمور» قالت فرانشيسكا مدافعة لكن فيما هزت الأخت فيونا كتفيها وتركتها ودخلت الى غرفة الجلوس أدركت فرانشيسكا ان ما قالته كان الحقيقة وحاولت ان تتذكر متى ضحكت لآخر مرة لكنها لم تستطع التذكر. انها تعيش في الحزن واليأس والقلق منذ فترة والدموع أقرب اليها من الابتسام الذي لم يكن من داع له.

آه، وما الفائدة في الانتحاب على نفسي؟ سألت نفسها بحدة ووقفت حين وصل مارك لإيصالها الى الشقة.

قضوا الطريق بصمت وكأن مارك أحس بحاجتها للبقاء مع أفكارها.

اضطرارك لتقلي هكذا من مكان لآخر لا بد انه ازعاج لك؟» سألته بتعاطف حين أوصلها الى الشقة.

«كلا أبداً» طمأنها بسرعة: «من الجيد الخروج من المكتب خاصة في مثل هذا اليوم» توقف ثم قال فجأة: «آه صحيح لقد أخبرني الرئيس ان أقول لك انه سيتأخر بالعودة الى البيت اليوم، فالعمل كثير وعلينا انهاء المشروع للسيد ماكوردو فسيتم التوقيع على العقد غداً».

هزت فرانشيسكا رأسها بتفكير وسألته: «لقد ذكرت شيئاً خاصاً عن هذا اليوم في المكتب ماذا كنت تقصد؟».

«الرئيس في مزاج غريب ونادر اليوم» أخبرها مارك بتنهد: «حاولنا جميعاً الابتعاد عن طريقه وهو بهكذا مزاج سيء لكن بعضنا لم يكن

www.elromancia.com

محظوظاً وقد طارت بعض الرؤوس».

اذن جيرارد كان في أحد أمزجته النادرة؟ هل كان السبب ان الوقت الذي أمضاه مع جاكلين البارحة قد أوضح شيئاً ما؟ أم انه لا يزال غاضباً بسبب القبلة البريئة التي تبادلتها مع آلان؟ حسناً هذا كان أمر يستحق التفكير وأمامها كل الوقت لذلك في الساعات الطويلة اللاحقة التي ستقضيها وحيدة مع أفكارها.

أكلت سندويشاً وجلست لتشاهد التلفاز لكن تركيزها شت في منتصف المسلسل فقامت وأطفأته ثم أدارت بعض الموسيقى ثم صعدت الى غرفتها برفقة كتاب أرادت تسلية نفسها به لكنها لم تستطع التركيز على الكلمات المطبوعة أمامها. وضعت الكتاب بعد فشل محاولتها الثانية للتركيز فوضعته جانباً وأطفأت الضوء. عليها ان تكون نائمة حين يعود جيرارد لكنها كانت لا تزال مستيقظة حين سمعت صوت مفتاحه يدور في الباب وتقلصت حين سمعت صوت أقدامه خارج الغرفة لكنه تابع سيره دون التوقف أمام غرفتها وتنبهت كل حواسها لحركاته. خزائن تفتح وتغلق وصوت الرذاذ في الحمام، انه يستحم اذن. ثم لاحقاً ساد الصمت، الصمت المطبق.

بعد بعض الوقت سمعت صوت نقرة خفيفة على بابها فأغمضت عينيها بشدة وحبست أنفاسها والخوف يهزها وسمعته يفتح الباب وتسلل ضوء الممر الى سريرها لكنها ظلت ثابتة في مكانها متظاهرة بالنوم بعد لحظات سمعت صوت الباب يغلق. فتنهدت بارتياح كونه رحل لتفاجأ بالضوء يضاء وبشخص جيرارد القوي يقف أمامها بردائه الحمام خاصته وبرائحة الرجولة التي كانت تفوح منه وتسلب رشدها.

«ما... ماذا هناك؟».

«كنت أعلم انك غير نائمة» قال وهو يبتسم ابتسامة رضى.

نظرت اليه وتجاوبت لوجوده قربها كل ذرة في كيانها فشدت الغطاء حولها في حركة غير ارادية.

وراقب هو باستمتاع حركتها هذه وحدق بجسدها المحدد من تحت الغطاء كأنه كان يتذكر وضعها في الليلة السابقة وشعرت بموجة من

الخجل والإذلال تجتاحها.

«لا تظهري بمظهر المرعوبة فرانشي» قال أخيراً واقترب وجلس قربها: «أريد فقط التحدث معك».

«عماذا؟».

«عن أي شيء وكل شيء» وهز كتفيه وتناول سيجارة من علبة سجائره ومقطباً لرؤية علبة الكبريت في يده.

«استعمل هذه» قالت بنبرة انتصار وهي تناوله الولاعة من جارور خزانتها.

«اين وجدتيها؟» سألها وهو يحدق بالولاعة باندهاش.

«أعادتها جاكلين هذا الصباح».

«هكذا» قال وتعابيره غير مقروئة وهو يولع السيجارة: «ألن تسأليني عن أي ايضاح؟».

«كلا».

«الا يزعجك ان تكتشفي أنني قد ذهبت اليها فوراً من عندك؟» طالب باستهزاء غير مصدق فيما نظرت هي بعيداً.

«كلا».

«انت تكذبين» اتهمها بحدة واضعاً سيجارته جانباً وساجناً اياها بين ذراعيه.

«جسناً» قالت بسرعة وهي تقاوم التأثير الهائل لقربه منها والمشاعر التي بدأت تشتعل داخلها: «حسناً» كررت: «كان من المذل والمهين لي ان أعرف... انه حين لم تنجح معي ركضت فوراً الى أحضانها المنتظرة واستمتعت جاكلين بكل لحظة في اخباري أين كنت».

«هل ألمحت الى أنني شاركتها الفراش؟».

«كلا» وتصلبت أصابعها على الغطاء: «لكن ما هو السبب الآخر الذي دفعك للذهاب الى هناك لو لم يكن... يكن...».

«أنا لم أفعل» قال بهدوء ملتقطاً نظرتها الحزينة.

«انت بالتأكيد لا تتوقع مني ان أصدق هذا؟».

«اذا استطعت أنا التصديق ان القبلة التي رأيتها البارحة كانت مجرد

تعبير عن الصداقة، فلماذا لا تصدقين اذن أنني لم أشارك جاكلين الفراش؟».

نظرت فرانشيسكا بعيداً: «انت لم تصدق البارحة ان قبلة الآن كانت بريئة».

«كنت غاضباً في ذلك الوقت» وأمسكت أصابعه ذقنها مجبراً اياها على النظر اليه: «هل أخفتك ليلة البارحة؟».

عيناه أخذت الجواب من عينيها وهمست تقول: «نعم».

«هل لهذا السبب كنت تبكين؟».

«لقد توصلت الى استنتاجاتك الخاصة بهذا الأمر أتذكر؟» قالت له وهي لا تزال تشعر بالارتجاف داخلها لاتهامه لها.

«فرانشيسكا...» وانزلقت أصابعه الى مؤخرة ذقنها: «ألم تتفوهي بشيء مريع في لحظة غضب؟».

«بالطبع فعلت» اعترفت بنفس مقطوع وهي تشعر بالضعف يتنابها لملامسته لها.

«اذن لا بد انك تفهمين السبب الذي دفعني للتفوه بمثل تلك الحماقات».

طأطأت رأسها بصمت وامتدت يده الى ذراعها ثم يدها ورفعها طابعاً قبلة دافئة داخل راحتها ثم قبل رسغها حيث نبضها متسارع وجنوني.

«انت ترتجفين» انهمها بنعومة ثم وجدت شفاهه فمها.

حاولت فرانشيسكا مقاومته لكن دفء صدره ونعومة عناقه سرقا مقاومتها وجعلها تتجاوب معه بطريقة رائعة سمحت لنفسها بالغرق في موجة المشاعر المثيرة التي اجتاحتها. وحين شعر بتجاوبها أصبحت قبلاته ملتهبة ومتطلبة.

«أريدك فرانشيسكا ستيفان» همس بصوت تخنقه العاطفة وشفاهه تداعب مؤخرة أذنها وأخذت هي تهمس باسمه وهي تكاد تعترف له بقوة مشاعرها نحوه.

«انت لن ترسليني بعيداً أليس كذلك؟» سألها بإقناع.

«أنا... آه... جيرارد...» همست بتنهد وهي معلقة بين الخوف والنشوة: «جيرارد أنا... أنا لم أتشارك الفراش مع أي رجل من قبل و...» اعترفت له بتلعثم غير عالمة انها كانت تلامس كتفيه بطريقة مشجعة.

أعرف هذا قال جيرارد بصوت هامس وهو يطفيء الضوء.

ولم تعد فرانشيسكا تشعر بشيء الا بجيرارد وبالمشاعر التي غرقا بها وحملتهما الى بحار النشوة والسعادة.

فيما استيقظت المدينة على صباح يوم جديد تنبهت فرانشيسكا من نومها وتمطت. أحست بثقل غير عادي على جسدها والتفتت فوجدت جيرارد ينام على ظهره وذراعه تمتد فوقها تذكرت فوراً أحداث الليلة السابقة وارتسمت ابتسامة رضى على شفتيها وأخذت تداعب شعره بحب. استيقظ بدوره ونظر اليها بسحر.

«بدوت كالطفلة الصغيرة هذا الصباح وأنت نائمة وشعرك يفرش الوسادة» قال بنعومة: «أعتقد أنني بحاجة لأتأكد انك نفس المرأة التي ذابت بين أحضاني البارحة».

حدقت به للحظة لتستوعب كلامه وتذكرت فجأة أنها لا ترتدي شيئاً فأسرعت بإخفاء نفسها تحت الغطاء لكنه أزاح الغطاء جانباً وأخذ يعانقها.

«انت متوحش» قالت متهمة اياه فيما هو يسحبها معه الى بحار النشوة ثانية ورفعت شفاهها اليه لتتلقى قبلته.

لكنه أغاظها بمرح قائلاً دون ان يقبلها: «أنا متوحش ايه؟».

«بعض الأحيان نعم» قالت بإصرار وأنفاسها تتلاحق من الإثارة: «أنت تعطي بيد لكن بعد ان تتأكد انك ستأخذ باليد الأخرى».

«أليست هذه هي الحياة؟» سألها باستهزاء قبل ان يخفض فمه طالباً شفاهها، استسلمت فرانشيسكا لنشوة اللحظة حتى خطرت ببالها فكرة ملحة.

«جيرارد» بدأت مصممة على تجاهل ردات فعل جسدها مع ملامساته لتشفي فضولها أولاً وتابعت: «لقد ذهبت الى شقة جاكلين

www.elromancia.com

وفي نيتك مشاركتها الفراش، أليس كذلك؟».

«نعم».

قال من وراء أذنها وهو يقبلها فارتعشت بنشوة لكنها رفعت يديها اليه لتبعده قليلاً وسألت: «ولماذا لم تفعل؟».

«أدركت حين وصلت الى هناك ان هذا العمل سيقلل من حلاوة انتصاري عليك لاحقاً».

وضحك بانتصار ونعومة وتابع بصوت ملؤه الرغبة: «وليلة البارحة كانت تستحق فعلاً الانتصار».

«هل هذا كل ما عنته لك؟ مجرد نصر؟» سألته وبالكاد استطاعت ان تخفي خيبة أملها.

«هل يجب ان تعني شيئاً آخراً؟».

«كلا، لا أظن، لكن...».

«انت تتكلمين كثيراً» اتهمها مقاطعاً، ورغم محاولتها للمقاومة الا انها استسلمت كلياً للمشاعر التي كان يثيرها فيها.

لاحقاً ذلك الصباح بعد ان ذهب الى العمل جلست فرانشيسكا تفكر بأحداث اليومين السابقين وخوف جديد تملكها. بحبها القوي هذا له، ماذا ستفعل عندما يقرر جيرارد أخيراً انه قد حان الوقت لينهيا زواجهما؟.

حاولت ان تتصور حياتها بدونه وارتجفت للفراغ الذي اجتاحها لمجرد التفكير بهذا. لن يعود اي شيء الى حاله بعد ان أدركت انها تحب جيرارد حباً عميقاً وكبيراً.

قررت تحضير عشاءاً مميزاً لهذا المساء وبالتالي تشغل نفسها عن التفكير بكيفية مستقبلها بدون جيرارد وبالفعل نزلت الى السوق وتبضعت ما تحتاجه ثم عادت لتحضر العشاء.

رن جرس الهاتف حوالي الساعة الخامسة والنصف مساءاً وكان جيرارد هو المتحدث.

«أريدك ان تنزلي حالاً الى البهو فرانشيسكا».

نبرته أقلقتها وسارعت نبضها فسألته: «هل هناك أمراً ما؟».

«سيكون هناك أمراً ما اذا لم تنزلي حالاً» قال بنفاذ صبر.

«سأكون في الأسفل بعد لحظات» طمأنته ووضعت السماعة مكانها.

فكت مشزر المطبخ وأطفأت الفرن ثم أسرعت بالنزول الى بهو البناية وقلبها يكاد يتوقف لخوفها وقلقها وظنت ان جيرارد به شيء وأنه لا يستطيع الصعود بنفسه الى الشقة كانت على وشك ان تصاب بالذعر من القلق حين فتحت باب المصعد واندفعت خارجة منه لتصطدم بصدر صلب أمسك بها ومنعها من السقوط.

«جيرارد؟» قالت شاهقة وهي تتمسك به لا ارادياً وعينيها تدققان به وبجسده بحثاً عن جرح ما: «هل انت بخير؟».

ارتفع حاجباه باستغراب وقال: «الا أبدو لك أنني بخير؟».

«نعم، لكن...» وأخذت نفساً عميقاً لتتمكن من متابعة الكلام: «جعلت الأمر يبدو طارئاً فظننت ان...».

«ظننت ان شيئاً ما قد حصل لي؟» ملأ فراغ جملتها بعدم تصديق.

«نعم» قالت وابتلعت ريقها بصعوبة لأن انفعالها كان لا يزال قوياً وأرخت نظرتها الى ربطة عنقه محاولة ان تسترجع هدوءها.

«لم يكترث أحد لأمري من قبل» قال بنعومة وتنفسه الدافيء يداعب جبهتها: «هذه تجربة فريدة».

«رغبتها المفاجئة لمعانقته والإلتصاق به كانت قوية جداً لكن فرانشيسكا تجاهلتها وتحركت بعيداً عنه خطوة وسألته: «لماذا أردتني ان آتي الى هنا؟».

«أريد ان أريك شيئاً».

وأمسك بيدها بأصابعه القوية ومشى بها الى حيث كانت سيارة موستينغ حمراء تقف بجانب سيارته، دق قلبها بشدة وهي تنظر الى الرجل بجانبها.

«جيرارد؟».

«انها لك» قال بإختصار وعينيه الحادتين تحدقان بوجهها.

شعرت فرانشيسكا ببعض الألم في قلبها وهي تلامس السيارة

www.elromancia.com

الحمراء الرائعة برؤوس أصابعها.

«انها سيارة رائعة لكن. . . .».

«انها سريعة جداً أيضاً، وسيكون عليك القيادة بعناية وانتباه» قاطعها وهو يسحب مجموعة مفاتيح صغيرة من جيبه ويفتح باب السائق.

«لا أستطيع ان أقبلها، جيرارد».

ظلت عبارتها معلقة بالهواء للحظات بينهما وتصلب جسدها حين استدار اليها ونظر اليها ببرود.

«لم لا؟» سألها باختصار.

«أنا أدين لك بمبلغ كبير من المال، قرض والدي».

تحركت يداه بنفاذ صبر وقال: «لا شأن لذلك الأمر بهذا».

«بل له كل الشأن» احتجت بحزن.

«فرانشي. . . .».

«لا أستطيع جيرارد» قاطعته بسرعة مقاومة الدموع التي بدأت تتجمع في عينيها: «هذا لطف كبير منك، لكني لا أستطيع ان أقبلها، أرجوك، أنا. . . .».

«فرانشي!» قال وأمسكت يداه بها وهزتها قليلاً: «انسي أمر ذلك المال الذي تدينين به لي».

«أنسى؟» قالت بصوت مندهش: «كيف أنسى في حين انه السبب لزواجنا؟».

«أحد الأسباب» صحح لها فوراً.

«نعم أحد الأسباب» اعترفت بمرارة مدركة انه ولا سبب في زواجهما كان الحب: «آه، جيرارد. . .» همست ووضعت رأسها على صدره للحظات كتعبير عن استسلامها.

«هيا» قال بنفاذ صبر: «أريدك ان تجربي قيادة السيارة».

«جيرارد. . . .».

«أنا أصر».

تصارعت نظراتهما للحظة وهما يحدقان ببعض لكن فرانشيسكا

أوقفت الصراع وقامت بما طلبه منها.

صعد هو الى المقعد بجانبها وانطلقت هي بالسيارة رغم كل شيء، شعرت بالمتعة وهي تقود هذه السيارة الصغيرة الرائعة واتجهت دون وعي الى الطريق المؤدي الى منزل عمتها والقيادة التي كانت مترددة في البداية أصبحت سعادة غير متوقعة.

«هل قيادتها جيدة؟» سألها جيرارد بعد ان تركا المدينة خلفهما.

«رائعة» اعترفت له بصراحة.

«توقفي على مفترق الطرق هناك» اقترح وفيما ركنت السيارة وراء بعض الأشجار وأطفأت المحرك التفت ليواجهها وتابع: «هل أغويتك وأقنعتك حتى الآن بقبول هديتي؟».

ارتجفت زوايا فمها لمحاولتها عدم الابتسام ونظرت أمامها وقالت: «أعتقد أنني لا أستطيع ان أتوقع من مارك متابعة قيامه بدور السائق كلما أردت الذهاب الى مكان ما، وأنت ضد استعمالي للباص، وهكذا. . . .».

«انت تفكرين بعقل أخيراً».

نظرت اليه حينها وقطبت جبينها: «أنا أحاول ان أجد المبرر لقبولي السيارة دون ان أشعر بحزن تجاه هذا القبول».

فك جيرارد حزام أمانه وانحنى باتجاهها: «أتعلمين انك تحيرينني!».

«هل أفعل ذلك؟» سألت محاولة ابقاء نبرتها عادية وهو يضع ذراعه حول كتفيها.

«لم أقابل أي امرأة بعد اضطرت لايجاد المبررات لقبول هديتي. هن عادة يقولون شكراً بنعومة ويتقبلونها وكأنه كان من واجبي ان أحضر لهن شيئاً».

«لا أعتقد أنني قادرة على تقبل الهدايا من أحد اذا كان الدافع شعور بالواجب».

«كلا لا أعتقد أنا أيضاً انك تفعلين» ورفع وجهها اليه: «هل أتلقى الآن قبلة شكراً؟».

www.elromancia.com

رفعت فمها اليه ببراءة ناوية ان تقبله قبلة خفيفة لكن يده امتدت الى مؤخرة رقبتها وثبتها هناك. وتعمقت قبلته وأصبحت متطلبة وقوية ولم تشعر الا وهي تفك حزام أمانها وتلتصق به أكثر. لا شيء بدا مهماً طالما هي بين ذراعيه وتركت نفسها تغرق في مشاعر وأحاسيس السعادة التي تغمرها وهو يعانقها.

ارتعشت بين ذراعيه وهي ترد قبلاته بشغف واستجابة حتى همس باسمها بنعومة وأفلتها.

«أعتقد انه حان الوقت لنعود الى البيت أليس كذلك؟».

فهمت مغزى سؤاله واحمرت وجنتاها.

هزت رأسها دون ان تنظر اليه وبعد ان رتبت وضع ثيابها قليلاً ربطت حزام أمانها ثم انطلقت عائدة الى المدينة.

لم تكن فرانشيسكا واثقة أبداً خلال الأسابيع القليلة اللاحقة عن مكانها بالنسبة لجيرارد. كان أحياناً يبدو غير مكترثاً وبارداً بإيلام وأحياناً أخرى يكون حنوناً ولطيفاً. كان الأمر محيراً ومثبطاً للعزيمة مع انها كانت تشعر انه لن يتخلى عنها فوراً الا انها بدأت ترغب فعلاً في ان تحاول جعله يهتم ولو قليلاً بها وبشأنها.

حضر العديد من اللقاءات والحفلات حيث كانت جاكلين بوارا متواجدة دائماً. وبالرغم من أن جيرارد لم يكن يشجعها على التحرش به الا انه أيضاً لم يكن يحاول منع تحرشاتها به. وكان من الطبيعي ان تجد الصحافة في هذا موضوعاً للحديث حتى ان بعض الصحف تجرأت وكتبت ان العلاقة بين جاكلين وجيرارد لا تزال مستمرة. كان هذا أمراً مهيناً ومزعجاً جداً لفرانشيسكا لكنها لم تجرؤ على مفاتحته بهذا الموضوع أبداً مخافة من خسارتها له في هذه العملية. سيكون الإذلال النهائي له ان يكتشف هو انها تحبه بجنون.

«رأيت عمتك اليوم» قال وهو يتمشى في الغرفة بعد ان انتهى من حمامه.

كان يبدو جذاباً وساحراً واستجابت كل مشاعر فرانشيسكا مع شكله الرجولي الفائق الجاذبية فشعرت بالغضب من نفسها لا منه ووجدت

نفسها تقول: «هل كنت تزورها لتطمأن وتعرف كم عليك الانتظار بعد قبل ان تطالب بما هو لك؟».

«انت لا تقصدين ما تقولين!».

صوته كان له تأثير السوط وتألمت داخلياً وقالت: «أنا آسفة».

«ذهبت لأرى عمتك لأنني معجب بها، ولأنه سيبدو من الغريب اذا لم أهتم بأمورها».

تابع شرحه بنعومة كأن شيئاً لم يحدث: «لكن بما انك فتحت موضوع المال فهناك شيء أريد أن أناقشه معك».

تشنجت قليلاً وهو يقترب منها ويقول: «ماذا فعلت بالشيك الذي أعطيتك اياه لتشتري به حاجاتك الشخصية؟».

«لماذا تريد ان تعرف؟».

«لم يصرف في البنك بعد».

«آه».

أدارها لتواجهه وسألها: «ماذا فعلت به فرانشيسكا، أم ان علي سحب الحقيقة بالقوة منك؟».

وعينيها على صدره العاري همست: «لقد مزقته».

أفلتها جيرارد فجأة كأن كلامها قد لسعه وسأل: «هل تمانعين بإطلاعي على السبب؟».

«عندي من مالي الخاص ما يكفيني، ولم أشعر ان لي الحق بقبول المال منك».

«انت زوجتي فرانشيسكا».

هزت كتفيها واستدارت لتعبث بملابسها داخل الخزانة وقالت بهدوء: «أنا زوجتك فقط لحين يعاد اليك قرض والدي أو لحين تمل مني - الذي يحصل أولاً».

أمسكت يداه رسغها وسقطت فرشاتها على الأرض وهو يديرها لتواجهه: «انت لا تزالين زوجتي، وحتى يحين وقت تركي لك فستقبلين المال مني سواء أأحببت ذلك أم لا. هل كلامي واضح؟».

«لا تستطيع ان تجبرني على تقبل المال جيرارد» أصرت متجاهلة

www.elromancia.com

الإشارات الخطرة وهي ترفع رأسها لتنظر اليه بكبرياء وترى الغضب داخل عينيه.

«هل تحبين ان تراهني على ذلك؟».

كلامه كان هادئاً بخطورة لكن قبضته اشتدت على رسغها.

«انت تؤلمني» همست بألم.

«أشعر برغبتي في تمزيقك» قال من خلال أسنانه المصطكة وشدها نحوه بقوة كادت تخطف أنفاسها قبلته كانت عقاباً لها كان عليها تحمله لكن العقاب دام لعدة لحظات فقط وحل محله فوراً الرغبة الجامحة. حصل الأمر بسرعة فائقة وانفجرت رغبتها بقوة تضاهي قوة رغبته فأفرحه هذا الأمر.

«انت أكثر امرأة مغيظة ومحيرة رأيتها في حياتي» قال لها أخيراً بعد ان انتهت عاصفة عواطفهما.

«لكنك لا تزال ترغب بي» أجابت بثقة فاجأتها هي نفسها.

ضحك جيرارد بنعومة وهو يحيطها بذراعه وقال: «انت على حق، أنا لا أزال أرغب بك».

«السؤال هو، حتى متى؟».

«من يدري؟» تنهد: «عدة أشهر، ربما سنة، لكنك ستكونين شخصاً مميزاً وغير عادي اذا بقيت لأكثر من هذا».

قبلها بنعومة على شفتيها واستدار للجهة الأخرى، عدم حساسية كلامه كان كضربة السيف عليها، نظرت الى جسده بجانبها بالظلام وشعرت برغبتها في معانقته لكنه كان قد رفع ذلك الحاجز الخفي بينهما والذي يحرمها من ارضاء رغباتها.

«جيرارد...؟».

«همم...؟».

«ألم تحب أي أحد من قبل؟».

ظل هادئاً لوقت طويل ظنت خلاله انه لم يسمعها ثم أضاء المصباح بجانبه واستدار متكئاً على ذراعه ومحدقاً بها.

«ما الذي جعلك تسألين هذا السؤال؟».

«أنا فقط أتساءل» قالت بصوت حاولت جعله عادياً وهي ترمش بعينيها من الضوء: «هل فعلت؟».

«أعتقد أنني أوشكت على الوقوع فيه مرة، لكن ليس للحب مكاناً في حياتي» ضحك متعمداً حين رأى عينيها تتوسعان من الدهشة: «هل هذا يصدم قلبك الرومانسي الصغير؟».

«نعم» قالت بصراحة مخفية عينيها برموشها الذهبية: «أنا أؤمن ان كل شخص بحاجة ليُحِب ويُحَب في نفس الوقت، واذا هذا يعني ان أكون رومانسية القلب فإذن أنا لا أنكر ذلك».

«أنا أفضل ان أنظر الى الحياة بواقعية أكثر» جادلها ببرود: «الرغبة هي عاطفة أرضية واقعية يفهمها معظم الناس. ان ترغبي بشخص ما فهذا من أساسيات احتياجات الإنسان».

«الرغبة هي كنار المدفأة» أضافت بنعومة مستمتعة بقربه منها: «حين تشتعل وتنتهي لا يبقى سوى الرماد. هي لا تستمر الى الأبد».

«لا شيء يستمر للأبد» قال بقسوة مديراً لها ظهره مجدداً ومطفئاً الضوء.

«جيرارد...؟».

«اخلدي للنوم» أمرها بحدة وغرقت فرانشيسكا في الصمت غير قادرة الا ان تفعل ما أمرها به دون ان تجرؤ على التفوه بكلمة اضافية.

صوت تنفسه المنتظم أخبرها انه قد استغرق في النوم لكنها لم تستطع ان تنام هي بدورها. بعد بعض الوقت استدار نحوها محيطاً خصرها بذراعه وحينها فقط تمكنت من النوم.

أعلن جيرارد دون سابق انذار صباح اليوم التالي انه سيسافر الى سالت لايك بداعي العمل.

«متى ستعود؟» سألته وهي تقف بجانبه بحزن وتراقبه وهو يوضب حقيبته الصغيرة.

«سأعود في طائرة صباح الغد لكنني سأذهب فوراً الى المكتب» قال باختصار وهو يغلق حقيبته ويستدير ليرفع وجهها اليه: «لن أراك

www.elromancia.com

ثانية الا في مساء الغد».

قبلها بنعومة وذهب، تاركاً اياها مع الشعور المرعب انه قد غادر حياتها وتركها للأبد الصمت في الشقة كان ممزقاً فقررت فرانشيسكا فوراً ووضبت حقيبتها وذهبت الى منزل عمتها لقضاء الليلة. في غرفة نوم عمتها وجدت فرانشيسكا الأخت فيونا قلقة ومضطربة وطمأنتها الممرضة ان لا يوجد أي سوء ولكن الطبيب أستدعي بعد الظهر وأدركت فرانشيسكا ان النهاية قد قاربت عمتها الحبيبة.

الطبيب الذي كان طبيب العائلة لعدة سنوات. هز كتفيه بأسى وقال حين سألته فرانشيسكا عن حال عمتها: «لقد قمت بكل ما أستطيع القيام به» ثم تابع وهي ترافقه الى الخارج: «سأقضي الليل هنا لو كنت مكانك فرانشيسكا... قد تحتاج الممرضة فيونا لمساعدتك».

«أنا فعلاً سأقضي الليل هنا» قالت له وهز رأسه وغادر نحو سيارته.

لم تشعر فرانشيسكا بالإنعزال هكذا طوال حياتها، لم يعد بمقدور أحد ان يفعل شيئاً الآن سوى الانتظار والتوقع بدأ عند سرير عمتها ماريللا.

فتحت العمة عينيها متأخراً من مساء ذلك اليوم ونظرت فوراً الى فرانشيسكا الجالسة قربها وانفرجت شفتاها كأنها تهم بالكلام. انحنت فرانشيسكا عليها لتسمع كلماتها الهامسة.

«سيعتني جيرارد بك» همست عمتها بوهن: «لكن يجب ان تحبيه جيداً».

أجابت فرانشيسكا بارتعاش موافقتها وتنهدت عمتها بعمق. يد الخوف الباردة اعتصرت قلب فرانشيسكا وهي تنظر الى الممرضة فيونا برعب.

لكن الأخت فيونا طمأنتها قائلة: «انها تستريح فقط» لكن العمة ماريللا لم تفتح عينيها بعد ذلك.

فيما استمرت الساعات بدأ جسد فرانشيسكا يتخشب من جلستها الطويلة على الكرسي بجانب سرير عمتها واليد المعروقة بين يديها. أحنت ظهرها قليلاً محاولة عدم جذب الانتباه اليها لكن عينا الأخت

فيونا لاحظتاها.

«لم لا تأخذين قسطاً من الراحة فرانشيسكا؟ سأناديك اذا طرأ تغييراً على حالتها».

هزت فرانشيسكا رأسها بإصرار: «شكراً لك، لكني أفضل البقاء حيث أنا».

هزت المرأة الأسن كتفيها وتفحصت نبض ماريللا ثم عادت لمكانها.

كانت هذه آخر ساعات عمتها في هذه الحياة وخلال الساعات الطويلة كان لفرانشيسكا المجال الواسع للتفكير لكن أفكارها كانت مشتة ومؤلمة جداً للتفكير. حدقت بالجسد النحيل والعينين الغائرتين والوجه المجعد ولم تستطع التصديق ان هذه المرأة كانت هي نفس المرأة التي كانت والدتها لعدة سنوات واعتصر قلبها ألماً وحزناً.

فقط قبل الفجر صباح اليوم التالي تنهدت العمة ماريللا بقوة ثم سيطر الصمت الميت على الغرفة.

«لقد رحلت يا عزيزتي» قالت الأخت فيونا بهدوء بعد تفحص العمة مواسية أسوأ دموع فرانشيسكا. وغطت وجه العمة بسلام ولمست ذراع فرانشيسكا: «تعالي الى الطابق السفلي معي، يجب ان أخبر الطبيب».

سمحت لها فرانشيسكا بقيادتها من الغرفة وكانت شاكرة للحذر الذي سيطر عليها وشل كل مشاعرها في تلك اللحظة.

فتحت ستار النافذة ورأت الليل المخملي يتحول الى رمادي قبل شروق الشمس، ها هو يوم جديد يبزغ، لكن في قلبها كان هناك ظلام دامس، فراغ بالكاد تجرؤ على التفكير به، الآن وبعد رحيل عمتها، لم يعد لها سوى جيرارد الذي سيتخلى عنها بدوره بعد وقت.

أحبيه جيداً، تذكرت كلمات عمتها والذكرى فرقت قلبها من الألم.

«يا الهي» همست وهي تتمسك بالستائر والشمس تشرق: «المشكلة هي أنني أحبه جداً جداً».

www.elromancia.com

استعادت رشدها لدى سماعها صوت الخطوات تقترب.

«سيأتي الطبيب حالاً» قالت الممرضة فيونا.

«وما الفائدة؟» قالت فرانشيسكا بصوت مخنوق: «لقد رحلت».

«سيأتي على كل حال» وحدقت الأخت فيونا بها بقوة وتقدمت لتمسك ذراع فرانشيسكا وهي تقول: «هيا اجلسي يا عزيزتي فأنت تبدين شاحبة جداً».

«أنا بخير أنا...» ودارت الغرفة بها وتمسكت باليد التي حاولت الحفاظ على توازنها وشعرت بالظلام يقترب منها: «أظن... انه سيغمى علي» وأحاط بها الظلام كلياً ولم تعد تشعر بشيء.

فتحت عينيها بعد قليل وكان الضوء يغمرها والطبيب قربها.

«ما... ماذا حدث؟» سألت محاولة الجلوس لكن الأخت فيونا أبقتها مستلقية.

«لقد أغمي عليك أتذكرين؟».

«آه... آه نعم» ومررت فرانشيسكا يد متعبة على عينيها وتذكرت: «كان ذلك سخافة مني، أنا آسفة».

«هذا يحدث دائماً في مراحل الحمل الأولى» طمأنها الطبيب بابتسام وهو يغلق حقيبته الطبية.

«في... في ماذا؟» سألت بعدم تصديق: «أنا لم... لم يكن عندي... فكرة أنني...».

وانقطعت عن الإكمال فجأة مدركة انها قد تناست ملاحظة هذا الأمر بغباء. والآن وهذه الحقيقة قد فاجأتها بقوة تمنت لو انها بقيت غير عالمة وغطت وجهها بيديها وانفجرت بالبكاء وتمتمت: «آه، لا، لا، لا».

ذراعي الأخت فيونا كانتا حولها فوراً: «أعتقد ان علينا الاتصال بزوجك والطلب اليه للحضور».

«كلا» قالت وهي تجلس بسرعة وتتمالك نفسها: «جيرارد كان في سالت لايك البارحة ولا أظن انه قد وصل الآن وأنا... يجب ان أسألكما الا تخبراه بالأمر حين يأتي، أنا... أنا لا أريد جيرارد

ان... ان يعرف عن... عن الطفل بعد».

«اذا هذا ما تريدين فرانش، فاعتمدي على صمتنا» طمأنتها الأخت فيونا فوراً ونظرت الى الطبيب قائلة: «أليس كذلك حضرة الطبيب؟».

«بالتأكيد» قال الطبيب ونصح فرانشيسكا بعدم قيادة السيارة الا بعد زوال الدوخة تماماً.

رحل الطبيب بعد لحظات وعقل فرانشيسكا كان مشلولاً في هذا الوقت وشعورها بالخسارة العظيمة كانت أكبر من قدرتها على ذرف الدموع ورعبها الإضافي من ان جيرارد سيذعر حين يعلم بأمر الطفل الذي تحمله لكن الأفكار والأحزان كانت قد خدرت جسدها وعدم نومها لليلة البارحة ترك دوائر سوداء حول عينيها.

«ألم تنهي فطورك بعد؟» سألت الأخت فيونا بعد ان عادت الى الغرفة بعد اجرائها عدة اتصالات هاتفية.

«أنا لست جائعة» همست فرانشيسكا دافعة صحنها بعيداً:

«هل...».

«لقد قمت بكل الترتيبات اللازمة» طمأنتها الأخت فيونا بسرعة: «متى ستخبري زوجك... عن عمتك أقصد؟».

دفعت فرانشيسكا أصابعها بشعرها المبعثر وقالت: «سأذهب للبيت أولاً لأغتسل وأبدل ثيابي ثم سأذهب الى مكتبه - وأنقل اليه الخبر».

حدقت الأخت فيونا بها بعمق: «كان يأتي لرؤية عمتك مراراً خلال الأسابيع السابقة. هل كنت تعرفين بهذا؟».

«كلا» فرانشيسكا كانت متعبة لتشعر بالدهشة بالإضافة لا شيء يقوم به جيرارد أصبح يفاجأها الآن فسألت: «ماذا ستفعلين الآن؟».

«آه، سآخذ فترة من الراحة، ثم أبدأ التفتيش عن عمل جديد».

«هلا بقيت معي حتى ننتهي من الترتيبات اللازمة بالنسبة للخدم وللبيت؟».

«بالطبع يا عزيزتي» وابتسمت الأخت فيونا ببعض الحزن: «سيتحطم قلبهم لفكرة المغادرة. لقد مضى لهم هنا فترة طويلة».

«أعلم».

www.elromancia.com

ـ بوجود طفل على الطريق يجب ان تفكري بتأمين منزلاً له، والسمة في المدينة هي ليس المكان المناسب لتربية الطفل» وحدقت بفرانشيسكا بدقة: «هل تظنين انك وزوجك ستأتيان لتقيما هنا في هذا المنزل؟».

«أنا... لا أظن هذا» ونظرت فرانشيسكا بعيداً بانزعاج ثم ثانية الى المرأة بجانبها: «أخت فيونا... أنا... أنا... أريد ان أشكرك على كل ما قمت به لأجل عمتي ماريللا».

«لا تشكريني يا عزيزتي» ومدت يدها عبر الطاولة وأمسكت يد فرانشيسكا: «كان من دواعي سروري ان أكون جزءاً من عائلتكم لوقت طويل».

حملت فرانشيسكا حقيبتها وودعت الأخت فيونا وعادت الى شقتها حيث أخذت حماماً منعشاً خفف من تعبها.

ارتدت ثوباً رمادياً صوفياً وجلست أمام طاولة الزينة لتحاول تحسين مظهرها. سرحت شعرها بقوة وأعادت له اللمعان ثم أضافت القليل من اللون الى خديها الشاحبتين لكن شيئاً لم يستطع ان يبعد ظلال الحزن التي كانت داخل عينيها لكن التغير الداخلي فيها هو الذي أزعجها ولامست بطنها متحسسة طفل جيرارد داخلها وفجأة لم تعد تشعر بالانزعاج من هذا. لاحقاً حين يتركها جيرارد سيكون عندها طفله ليملأ لها فراغ حياتها! يجب ان لا يعرف جيرارد أبداً بهذا الأمر! يجب ان لا يعرف! فهي لا تتحمل فكرة استمراره من الزواج بها بسبب شعوره بالواجب! لن تستطيع تحمل هذا أبداً.

البناء الضخم الذي كان يحوي مكاتب شركة ماجيك كان يلمع بواجهاته الزجاجية تحت ضوء الشمس وصعدت فرانشيسكا الى مكتب جيرارد وهي تتساءل كيف سيتقبل جيرارد خبر موت عمتها.

«فرانشيسكا؟» ولمست يد ذراعها بخفة ووجدت نفسها تنظر الى عيون مارك الضاحكة.

«من المدهش ان تقوم زوجة الرئيس بزيارتنا».

«من الجيد رؤيتك ثانية مارك» قالت بابتسامة متجاهلة الفضول

داخل عينيه: «هل جيرارد هنا؟».

«بالطبع» قال باختصار مرافقاً اياها الى الباب: «تفضلي».

وصعد المصعد بالسرعة المعهودة نفسها. لم تكن سكرتيرة جيرارد على مكتبها وباب مكتبه كان مفتوحاً. ورأت جاكلين في الداخل، وجسدها النحيل ملتصق بجسد جيرارد وذراعيها تحيطان برقبته. انعصر قلب فرانشيسكا من الألم ثم تجمدت مقاومة الدوخة التي هددت بالعودة اليها.

«فرانشيسكا؟».

قطب جيرارد وحرر نفسه من ذراعي جاكلين بسرعة لكنه ظل واقفاً مكانه فيما عيناهما تلتقيان عبر الغرفة. وكأن كل شيء انشل داخلها والفكرة الوحيدة التي ظلت تدور في عقلها كانت: «يجب ان لا يغمى علي أو أتقيأ، ليس هنا ـ ليس الآن».

«عزيزتي انك تبدين شاحبة جداً» قالت جاكلين وهي تضع الفرو حول كتفيها كأن شيء لم يحدث: «بالفعل يجب عليك ان تفعلي شيئاً لأناقة ملابسك يا عزيزتي اذا أردت ان تمنعي عينا زوجك من النظر الى الخارج».

«هذا يكفي جاكلين، هلا تركتنا لوحدنا» قال لها جيرارد بقسوة دون ان يبعد عيناه عن فرانشيسكا.

«ولكن ماذا عن موعدنا على الغداء؟».

«في وقت آخر» قال بسرعة.

«أرجوك لا تدعني أفسد عليكما مخططاتكما» علقت فرانشيسكا ببرود بعد ان تمكنت من الكلام: «ما أريد قوله يستطيع الانتظار».

«كلا لا يستطيع» تحرك جيرارد بقوة البرق فيما هي تحاول الخروج وأمسك بذراعها اياها على البقاء مكانها: «أغلقي الباب وراءك جاكلين».

«لكن عزيزي...».

قالت جاكلين وعينيها تلمعان بالكره وهي تنظر الى فرانشيسكا الواقفة دون حول وقوة بجانب جيرارد.

«سنتكلم لاحقاً لكن الآن أريد أن أبقى وحدي مع زوجتي» أصر بقسوة مشيراً الى الباب وكادت فرانشيسكا تشعر بالشفقة على جاكلين التي احمرت خجلاً وغادرت بسرعة قائلة بغضب: «آه، حسناً جداً».

استدار جيرارد وواجهها قائلاً: «لن تأتي الى هنا لولا ان الأمر بغاية الأهمية» تابع ببطء وعينيه تتفحصانها بدقة: «هل هي عمتك؟».

طأطأت فرانشيسكا رأسها موافقة وبدا صوتها بارداً وبدون حياة وهي تقول: «لقد ماتت باكراً هذا الصباح».

«هل الأخت فيونا هي من اخبرتك؟».

هزت رأسها نافية وتهالكت على أقرب كرسي لأن ساقيها لم تعودا تحملانها.

«لم أحب قضاء الليل وحيدة فذهبت الى منزل عمتي البارحة صباحاً بعد رحيلك. عمتي كانت مريضة جداً حين وصلت استدعينا الطبيب» وأخذت نفساً عميقاً وأحداث الليلة الماضية المحفورة في ذاكرتها تتسلسل أمامها: «الأخت فيونا وأنا قضينا الليل بأكمله قرب سريرها».

والتمعت عينا جيرارد بغرابة: «كنت معها حين ماتت؟».

«نعم».

«لماذا لم تتصلي بي بدلاً من ان تقودي السيارة الى هنا وأنت نصف نائمة تقريباً؟».

لو انها فقط اتصلت فكرت فرانشيسكا بيأس لما كانت رأت...! تماسكت وهزت كتفيها وقالت: «أنا... أنا أردت ان أراك... لأخبرك شخصياً وليس عبر الهاتف».

كانت عيناها مركزتان على جلد حذاءه اللامع دون ان تنظر اليه ورأته يستدير ثم يصب شيئاً ثم عاد وناولها شراباً أحمر اللون.

«اشربي هذا» وناولها الكأس.

«أنا حقاً لا أشعر...».

«اشربيه».

كان هذا أمراً وأطاعته بتردد وكانت يدها ترتجف بشدة وهي تتناول

الكأس منه وكادت ترمي بعض الشراب على ثوبها قبل ان توصل الكأس الى شفتيها. أحرق الشراب حلقها فأبعدته عن فمها لكن يد جيرارد قلبت الكأس وأجبرتها على شربه كله.

«لقد اكتفيت» قالت وهي تكاد تختنق وقد تدافعت الدموع من عينيها وهي تسعل. تناولت المحرمة منه لتمسح وجهها.

وضع الكأس جانباً ثم جلس على يد المقعد أمامها مجبراً اياها على النظر اليه.

«أنا آسف فرانشيسكا؟».

«وعلى ماذا تأسف؟» سألته ببرود: «تستطيع الآن ان تبيع المنزل وأن تسترجع ما ندين لك به. هذا ما كنت تنتظر أليس كذلك؟ الفرصة لتنهي زواجنا وتتمكن من العودة لجاكلين؟».

تغيرت ملامح جيرارد وهو يساعدها على الوقوف على قدميها: «سآخذك للبيت، انت بحاجة لتناول قسطاً من الراحة».

«أستطيع ان أقود بنفسي»

«سآخذك وسنرسل وراء سيارتك لاحقاً» أصر مرافقاً اياها من المكتب، من مكتب سكرتيرته والى المصعد.

شكرته فرانشيسكا بسرها لإمساكه بها ولمساعدته لها على الوصول الى السيارة فقد بدأت تشعر بالدوخة. ابتعدت قدر الامكان عن مكانه حين صعد الى السيارة وعادا الى المنزل بصمت.

«اخلعي ملابسك واخلدي للنوم» أمرها حين وصلا الى الشقة وأصبحت فرانشيسكا فوراً متمردة.

«أنا لست متعبة» قالت ولكن انحبست أنفاسها في حلقها حين وجدته يرفعها كالطفل ويأخذها الى غرفة النوم.

«اتركني» صرخت حين أجلسها على السرير: «ماذا تظن انك تفعل؟».

«سأبدل لك ملابسك» قال بهدوء.

«كلا، اتركني» صرخت مقاومة اياه لكن التعب والإرهاق سيطرا عليها وتمكن من خلع رداءها: «أنا أكرهك، أكرهك».

«نعم، أعرف» أعلن بطريقته الواقعية المغيظة فيما هو يحضر رداءها الأسود للنوم ويساعدها على ارتدائه: «أعرف انك تكرهينني» كرر ثانية: «لكن في هذه اللحظة انت مرهقة ومتعبة».

«لا يحق لك ان تعاملني بهذا الشكل! أنا لست طفلة، أنا...».

واختنق صوتها بالدموع ورغماً عنها اندفعت دموعها وأخذت تبكي وتشهق بحرارة. وشعرت بالمهانة لبكاءها هكذا أمامه وتركها جيرارد لوحدها بعد ان وضعها في السرير وغطاها لعدة لحظات ثم عاد وكانت قد استعادت رباطة جأشها.

«هل تشعرين بتحسن الآن؟» سألها وجلس بجانبها على السرير.

«نعم شكراً لك».

«اشربي هذا» أمرها بلطف متناولاً إياها كوباً من الماء وكبسولة دواء صغيرة.

«ما هذا؟».

«انه مهدىء»

«لا أريد...».

«بحق الله فرانشيسكا، اسمحي لي بالقيام بما هو أحسن لك في هذا الوقت» قساوة صوته كادت ترجع الدموع الى عينيها لكنها قاومتهم بقوة.

«اشربي» أمرها محققاً ارادته دون رحمة.

تعبة كثيراً للمجادلة أطاعته فرانشيسكا وابتلعت الكبسولة.

«الآن أغمضي عينيك واستغرقي بالنوم» أمرها بلطف أكبر وهو يخلع سترته وربطة عنقه ويضيء سيجارة.

حدقت به باستغراب: «ماذا تفعل؟».

«سأجلس هنا حتى أتأكد من استغراقك بالنوم» قال بهدوء ساحباً نفساً عميقاً من سيجارته ونافخاً الدخان نحو السماء.

بالرغم من ان جزء منها ابتهج لوجوده قربها جزءاً آخر رفض الفكرة بقوة.

«اذا أسرعت كفاية قد تتمكن من تناول الغداء مع جاكلين كما

أردت» همست ورموشها تغلق بتعب.

«اللعنة! اخلدي للنوم وانسي أمر جاكلين».

أنسى أمر جاكلين! لن تستطيع أبداً نسيان جاكلين، فكرت وهي تكاد تغوص بالنوم وفتشت يدها بدون خجل عن يده وحين شعرت بأصابعه القوية تحيط بيدها تنهدت بعمق ثم استرسلت بالنوم.

قام جيرارد بكل ترتيبات جنازة ودفن ماريللا بردويل وارتاحت فرانشيسكا لهذا نظراً لأن حالتها لم تكن تسمح لها بالقيام بهذا. غادرت الأخت فيونا في اليوم التالي للجنازة لكن بقيت حالة المنزل كما هي أي وجود الخدم كل في عمله.

مخططات جيرارد للمستقبل كانت غامضة بالنسبة لفرانشيسكا، فهي لم تسأله وهو لم يفتح الموضوع لكن كل شيء كان معلقاً بينهما كلما اجتمعا. خبر حملها كان لا يزال سرياً وتمنت لو تشاركه بهذا. لكنها لم تجرؤ، وجهدها بالبقاء صامتة بدأ يقض مضجعها.

دعيا في أحد الأمسيات الى منزل آل ماكوردو للإحتفال بعيد ميلاد ابنتهما وكانت فرانشيسكا غير راغبة بالذهاب لسبب تجهله. وصلا الى هناك وأدركت فرانشيسكا فوراً سبب عدم رغبتها بالذهاب. جاكلين بوارا كانت هناك متألقة بثوبها الذهبي اللامع وأدركت فرانشيسكا بدون أدنى شك ان لا فرصة لها بتاتاً بمنافسة امرأة بمثل هذا الجمال الباهر.

التقت نظراتهما ببرود حين تقابلا ولكن أحداً من المدعوين الثلاثين لم يلاحظ شيئاً وحاولت فرانشيسكا الا تقوم بدور الزوجة الغيور لكن ولإزدرائها وجدت عيناها تفتشان عن قامة جيرارد الطويلة بين كل حين وآخر بين الضيوف.

تلاقت عيناها بعد قليل بعيني ابنة ماكوردو التي كانت تضج حيوية وشباباً، استأذنت الفتاة من أصحابها واقتربت منها.

«أنا لست ناجحة في تذكر الأسماء لكن انت فرانشيسكا ستيفان، أليس كذلك؟» سألت بطريقة ودية.

«نعم أنا هي».

«لقد سمعت الكثير عنك من أمي وأبي، خاصة أبي» أضافت بابتسام: «لقد أثرت عليه تأثيراً بالغاً».

«لا أستطيع ان أعرف لماذا» تمتمت فرانشيسكا.

«انها نضارتك، صدقك وإخلاصك هو ما يعجبه، والآن وقد التقيتك بك أستطيع ان أوافق معه لديك تلك الخاصية التي تجعلني أدرك الآن سبب تخلي جيرارد عن عزوبيته لأجلك».

«آه».

«الآن ها قد أحرجتك» قالت سيرينا ماكوردو ضاحكة: «يجب ان تسامحيني فرانشي، لكننا آل ماكوردو معروفون بآرائنا الصريحة المباشرة».

ابتسمت فرانشيسكا لها بصدق: «هذا ما لاحظته».

«زواجك فعلاً أحدث ضجة بين الأصحاب الذين يعرفون جيرارد. النساء المتأنقات بالذات، وأنا لا أخشى من الاعتراف أني كنت واحدة منهن» قالت سيرينا بصراحة وهي تنظر بعيداً الى جيرارد الذي كان يتحدث مع أحد الرجال: «انه حقاً شيطان ساحر أليس كذلك؟».

«أعتقد هذا، نعم» أجابت فرانشيسكا بحق وبدون ارتباك.

«آه حسناً، أنا خاسرة جيدة، لحسن الحظ. ليس مثل جاكلين» قالت سيرينا وهي تنظر بفضول الى فرانشيسكا: «هل تعرفين ان هناك امكانية قبولها لعرض عمل في بيت باريس للأزياء؟».

انتفض قلب فرانشيسكا لكنها أبقت صوتها عادي: «كلا، ليس عندي أي فكرة».

«سيكون من مصلحة الجميع لو انها تقبل هذا العرض» قالت سيرينا بتفكير وهي تنظر الى كأس فرانشيسكا الفارغ: «هل أحضر لك مزيداً من الشراب؟».

«كلا، شكراً».

أحدهم جذب انتباه سيرينا فلمست ذراع فرانشيسكا بلطف وقالت: «اعذريني، لكني آمل أنني سأراك كثيراً في المستقبل. لقد أعجبتني».

حدقت فرانشيسكا بها وهي تبتعد، سيرينا ماكوردو كانت حقاً رائعة وأكثر ما أحبته فيها هو صراحتها. فقد أعطتها شيئاً لتفكر به، فقط اذا كانت معلوماتها حول جاكلين صحيحة. بإمكانية ابتعاد جاكلين عن حياتها فمن الممكن ان. . . .

أوقفت أفكارها عند هذه النقطة حين لمحت جيرارد وجاكلين يتسللان خارج الغرفة الى الشرفة ويختفيان في الظلال. وتبخرت أحلامها فلو طلب جيرارد من جاكلين البقاء ولو في جنوب أفريقيا فستفعل ومن الواضح انه لا يريدها ان ترحل.

اليأس سير حركات فرانشيسكا طوال السهرة وحين عادا الى شقتهما كانت قد صممت رأيها، لا تستطيع ان تستمر بحالة عدم الثبات هذه والا فستصاب بالجنون كلما أسرعت بوضع النقط على الحروف كلما كان أحسن.

خرج جيرارد من الحمام واضعاً المنشفة حول خصره كعادته ودخل غرفتها للمرة الأولى بعد وفاة عمتها، استمرت بتسريح شعرها متجاهلة الرعشة الخائنة لعروقها حين رأته. وقف وراءها وأخذ يداعب كتفيها بنعومة وحين لم ترفع نظرها اليه أدارها وقال:

«فرانشي. . .».

«ارفع يديك عني» قالت ببرود مخفضة الفرشاة الى حضنها.

«لماذا هذا الترحيب الجامد الغير متوقع؟» سألها بسخرية وهو ينهضها على قدميها ويبعد الفرشاة.

«أريد حريتي جيرارد».

تقلصت عيناه لكن ملامحه ظلت ثابتة: «ولم العجلة؟».

«أعتقد ان لي الحق مثلك تماماً ان أطالب بحريتي حين أريد».

«كلا يا عزيزتي فرانشيسكا» قال هازاً رأسه ببطء وعينيه تتجولان بمتعة غير مخفية على تقاطيع جسدها: «ستحصلين على حريتك حين أقول أنا ذلك».

وأحاطت ذراعيه بها قبل ان تحاول التحرك وسيطر الضعف على جسدها لإلتصاقها به لكنها احتقرت شعورها هذا رفعت رأسها عالياً

وحدقت به.

«لا تستطيع ان تجبرني على البقاء معك».

«هذا جزء من اتفاقنا أتذكرين؟» سخر منها: «ستستمرين بكونك زوجتي الى ان أقرر أنا بطلان هذا».

«أي نوع من الرجال هو أنت؟» سألت وأنفاسها متقطعة وهي تقاومه لكنه رفعها بسهولة وحملها: «الا ترى أنني لا أريد ان أبقى معك بعد الآن؟».

التوى فمه بسخرية: «هل انت كذلك؟».

«اتركني فوراً».

لدهشتها أطاع أمرها وسقطت بقوة على السرير.

عدم قدرتها على مقاومة اثارته لها جعلتها راغبة بالبكاء. لقد أوقعها في شرك حبه وتركها دون دفاع أو مقاومة.

«انت لا تزالين ترغبين بي بنفس القوة التي أرغب أنا بك واذا أنكرت ذلك فستكونين كاذبة شقية صغيرة» قال وفمه يقترب من فمها.

«جيرارد أرجوك...».

«لا تقاوميني فرانشي. تعلمين انك لن تنالي الا الأذية» قال وهو يدفن وجهه في شعرها.

ولم تعد فرانشيسكا قادرة على المقاومة أكثر وأحاطت رقبته بذراعيها وقربته اليها.

«فرانشيسكا عندي مفاجأة كبيرة لك» بادرها صوت جيرارد بعد عدة أيام.

«ماذا هناك؟» سألت وأعصابها تتشنج من الترقب.

«والدي ووالدتي سيحضران لقضاء ثلاثة أيام معنا وسيصلان يوم غد».

«هذا رائع» قالت فرانشيسكا بسعادة لكنها أطرقت وتابعت: «لكن... هل تعتقد أنني سأعجبهم وأترك لديهم انطباعاً جيداً؟!».

ما فائدة ما تسأله؟ سألت نفسها بمرارة فأيام بقاءها مع جيرارد سارت معدودة ورغم انها لم تعاود فتح موضوع حريتها وإطلاق

سراحها فهو لم يعاود فتح الموضوع بدوره وكان يسود بينهما جو من الهدوء. لربما الهدوء الذي يسبق العاصفة قالت فرانشيسكا بنفسها وقلبها ينقبض.

«دعيني أرى» قال بعين ناقدة مازحة: «أعتقد انك قد تتركين أثراً فيه مسحة من الجودة عليهما بمظهرك البري، الرقيق هذا».

رغم ان كلماته كانت مازحة وخفيفة الا انها أرسلت السعادة في عروق فرانشيسكا. هذه هي المرة الأولى التي يعبر ولو بالمزاح عن كيفية رؤيته لشكلها.

«علي ان أستعد اذن. سأنزل الى السوق بعض الظهر وأشتري بعض الأشياء».

«اشتري ثياباً جديدة لك أيضاً أريدك ان تبدين بأبهى حلة».

لماذا يزيد من عذابها؟! سألت نفسها بصمت العلة يريدها ان تبقى معه لفترة طويلة بعد؟! تعلقت بهذا الأمل الأبيض وتنقلت في المحال بخفة الفراشة واشترت كل ما تحتاجه وانتقت لنفسها تنورة طويلة ومكسرة من اللون الأبيض مع بلوزة غجرية مشجرة بكشاكش كبيرة على الصدر والأكمام وواسعة الصدر.

صباح اليوم التالي كانت تتلهف لمقابلة والدا جيرارد وتمنت لو انه حدثها عنهما قليلاً. فليلة البارحة كالعادة قضى معظم الليل في المكتب بسبب العمل وعاد الى غرفته واستحم ونام.

«لا داعي لكل هذا القلق» قال وهما يتناولان الفطار: «سأذهب لاستقبالهما من المطار ونكون جميعنا هنا بظرف ساعة على أبعد تقدير».

«جيرارد لم تخبرني كيف هما والداك؟» سألته بلهفة.

«انهما ككل الآباء والأمهات الرجال بمثل سني، متقدمين في السن، حيويين وطيبين جداً. والدي يعشق البحر ووالدتي تحب الرسم وتجيد فن الطبخ ولهذا فهما زوجين متفقين وسعيدين تماماً بقضاء أيامهما في الرحلات حول العالم».

«وهل تشبه انت أحدهم؟» سألت باستمتاع.

«ستحكمين على ذلك حين تشاهديهما وذلك سيكون بعد ساعة من الآن. الى اللقاء فرانشي. لا تضطربي كثيراً فستدركين انك واياهم ستتعرفان وتتحابان بسرعة وطبيعية».

قضت فرانشيسكا ساعة الانتظار بإعادة ترتيب وتنظيم المنزل لتفتح الباب.

فتحته ووقفت على العتبة بانتظار أهل جيرارد.

نزلت الوالدة ثم الوالد من السيارة وأصوات ضحكاتهما تصل الى فرانشيسكا وظهرت علامات الاعجاب على وجه الوالد حالما رآها. اقتربت منهما مرحبة وضمتها والدة جيرارد قائلة بصوت رقيق: «أهلاً بك يا حبيبتي، لقد اعتقدت أنني لن أراك طالما انا حية هذا العنيد جيرارد كان مصمماً على البقاء الأعزب الشهير على الدوام».

ضحك الوالد وقال بعد ان قبل فرانشيسكا على خدها: «جميعنا نقول هذا الكلام قبل ان نقابل الساحرة التي تسرق لنا قلبنا وترمينا بشباكها حتى قبل ان ندرك ما الذي يحصل».

استرقت فرانشيسكا نظرة الى وجه جيرارد الا ان تعابيره كانت مغلقة وغير مقروءة. لكمْ تتمنى لو ان ما يتفوه به والده كان الحقيقة.

«هيا تفضلوا أم انكم ستقضون الوقت على عتبة المنزل هنا؟» قال جيرارد وهو يستحثهم للدخول ففعلوا جميعاً. وشعرت فرانشيسكا ان رقة وحيوية الوالدين قد سرقت قلبها وأرست دعائم الحب بينهم منذ اللحظة الأولى.

مرت الأيام الثلاث بسرعة غريبة وكان جيرارد قد أخذ اجازة من الشركة وقضى الوقت بأكمله مع عائلته وكانوا يذهبون برحلات صيد وتنزه كما وتناولوا الطعام لمرتين في المطاعم الفاخرة. وشعرت فرانشيسكا ان حياتها كانت لتكون شمساً مضيئة الى الأبد لو ان أيامها وجيرارد تسير على هذا النحو.

في الأمسية التي سبقت رحيل الوالدين أعدت فرانشيسكا عشاءاً لذيذاً وزينت المائدة بالأزهار والشموع ثم ارتدت ثوبها الفيروزي الطويل وسرحت شعرها جيداً وأضافت بعض اللمسات على وجهها.

«تبدين رائعة يا حبيبتي» سارعت الوالدة بالتعليق حالما وصلت فرانشيسكا الى الصالون.

«انها دوماً رائعة» علق الوالد بمرح وهو يرمق ابنه: «والسر في هذا دون شك يعود الى هذا المحتال هناك، ما هو سر اشراق زوجتك الدائم جيرارد هيا أخبرنا».

تصلبت عضلات فرانشيسكا بانتظار رد جيرارد ولكنها أبقت عيونها بعيدة عنه حتى لا يلاحظ تلهفها على سماع كلماته.

جاء صوته يقول: «في الحقيقة السر يكمن فيها هي وليس بي فلا فائدة من توجيه السؤال لي أنا».

رده نوعاً ما خيب أملها فهي كانت تتوقع ان تكشف بعضاً من مشاعره اتجاهها من كلماته، لكنها على كل حال تقبلت الخيبة بهدوء وتابعت الابتسام بحب وصدق للوالد والوالدة الأحباء.

استمرت السهرة هادئة ومريحة ولاحظت فرانشيسكا ان جيرارد كان أحياناً يرمقها بنظرات غريبة محدقة وحالما كانت تدير وجهها اليه كان يبعد نظره بعيداً. يا ترى ما الذي يدور بخلده؟ فقط لو كان بإمكانها قراءة أفكاره ومعرفة مشاريعه.

كان صباح اليوم التالي يوماً بدأ حزيناً بوداعها للوالد والوالدة وعودة الأمور الى ما كانت عليه قبل مجيئهما. كلمات الوالدة الوداعية كانت لا تزال تطن بأذنيها: «انت تحبينه بعمق لجيرارد أستطيع قراءة هذا بعيونك ولهذا فأنا سأرحل وأنا مطمئنة على جيرارد انه فعلاً بحاجة لزوجة محبة رقيقة ومخلصة مثلك فرانشيسكا قد يتعبك بالبداية بسبب عناده وطبيعته التي تخفي خلف قناع وجهه كل مشاعره لكنك دون شك قد وصلت الى أعماقه وعرفت كم هو حنون وشغوف حين يحب بصدق».

حين يحب بصدق!! أبعد آمالها ان يكون يحبها لا ان يحبها بصدق! هو فقط يرغب بها رابطته بها هو جسدها وحين سيمل هذا الجسد سيذهب كل بطريقه.

ظلت هذه الأفكار والهواجس تسكن عقل وقلب فرانشيسكا

ووجدت نفسها تتعذب كلما تأخر بالعودة الى المنزل وكلما تأخر بالعمل.

حدثت الصدمة الكبيرة مساء يوم السبت الذي تلا رحيل والد ووالدة جيرارد. كانت فرانشيسكا قد ركنت سيارتها في موقف السنتر التجاري وسط المدينة ونزلت للتبضع ثم جلست بكافتيريا السنتر لتناول العصير المثلج حين داعبت أنفها رائحة عطر مألوف والتفتت لتشاهد جاكلين بوارا تتقدم نحوها بقامتها الممشوقة وثيابها الجذابة الملفتة للنظر.

أحست فرانشيكا بانزعاج فوري وتماسكت حين اقتربت جاكلين منها وسحبت الكرسي المجاور لها قائلة بصوتها الجذاب: «عفواً فرانشيسكا سآخذ من وقتك خمس دقائق فقط لو سمحت، هناك موضوع يجب ان أحدثك به للضرورة. لقد رأيت سيارتك في الخارج فأدركت انك هنا».

لم تجب فرانشيسكا بشيء بل اكتفت بالنظر اليها بتصلب.

«سأبدأ بالموضوع فوراً زواجك كما هو واضح لعيني لا يسير على ما يرام أليس كذلك؟ لا تستطيعين خداعي أنا بالذات بإدعاء العكس فالعلامات موجودة على ملامحك بوضوح. لقد حذرتك من قبل. جيرارد هو ليس الرجل الذي يكتفي بإمرأة واحدة فقط وأنا وحدي أتفهم هذه النزعات به. لهذا أتيت لأقول لك أنني أعطي زواجك مهلة أقل من شهر قبل ان يرميك جيرارد بعيداً ويبعدك عن حياته الى الأبد. فهو منذ الآن بدأ يظهر علامات الانزعاج وعدم الراحة» نهضت وابتسمت بخبث وتكبر وقالت: «هذا كل ما أردت قوله الى اللقاء فرانشيسكا المسكينة».

حدقت فرانشيسكا بها وهي تغادر وتابعت تحديقها بالمرأة الأخرى عبر زجاج السنتر الكاشف دون ان تتمكن من نفي كلام جاكلين حتى ولو حاولت لأن جيرارد لا يعطيها الثقة لتفعل.

توقفت سيارة يقودها سائق لجاكلين وكاد قلب فرانشيسكا يتوقف عن النبض حين رأت ان هناك رجلاً يجلس في المقعد الخلفي.

انحنت جاكلين نحوه حالما صعدت بحركة واضحة المعنى. هل من الممكن ان يكون هذا الرجل جيرارد؟.

انها اللحظة التي ستؤكد او تبدد شكوكها. هي لم يعد بإمكانها تحمل هذا الوضع لأكثر من هذا. قلبها يكاد يتمزق من حبها الكبير له وعدم حصولها على الأمان، الثقة أو الحب منه.

سارعت بمغادرة السنتر وقادت سيارتها بسرعة متجهة الى شركة ماجيك للإستثمار. اذا لم يكن جيرارد في المكتب بهذا الوقت فسيكون هو الرجل بداخل تلك السيارة مع جاكلين بوارا.

صعدت الى مكتبه وقلبها يتراكض أمامها وعقلها مشلول عن التفكير.

كانت السكرتيرة هي أول من رأت فسألتها بلهفة وسرعة: «هل السيد ستيفان موجود بالداخل».

جاءها الرد الصاعق: «لا سيدتي لقد غادر السيد قبل وقت قصير».

«وهل... هل غادر بسيارته لأن... لأنني نسيت بسيارته مفاتيح المنزل وأريد استعادتهم».

«لا سيدتي لم يغادر بسيارته لأنه قد أخذها الى المغسل في الصباح لقد استأجر سيارة بسائق خاص لتنقلاته لهذا اليوم».

هذا هو الأمر اذن. لقد طفح الكيل ولم يعد باستطاعتها ولا للدقيقة واحدة. لم تعرف كيف شكرت السكرتيرة وغادرت المكان. ظلت تهيم بالمدينة لساعات وساعات ومحور تفكيرها صورة السيارة، جاكلين والرجل بداخلها، فليذهب هو وعشيقته الى الجحيم. لقد ضاقت ذرعاً بهذا الوضع وستترك لمنافستها الحلبة وترحل. لأن حبها له يقتلها يعذبها ويحول ليلها نهار. لم تدرك انها هامت لساعات الا حين انتبهت ان الشمس قد أفلت وبدأ الظلام يسيطر على كل شيء. خطر ببالها ان تذهب الى المكان الوحيد الذي هو ملجأها الأمين، منزل والدها وعمتها وهذا فعلاً ما فعلته.

وجدت نفسها تقود سيارتها اليه وحين وصلت فتحت الباب ودخلت ولجأت الى غرفتها الواسعة حيث أخذت تبكي وتنتحب بكل يأسها

وحبها.

شهقات ودموع كثيرة ذرفتها ولا شك ان الإرهاق واليأس أغرقاها بالنوم ولكن صوت فتح الباب بقوة وشدة جعلها تقفز من نومها بعيونها المتورمة لتجد أمامها جيرارد المتلهف والبادي القلق.

«لقد اعتقدت أنني سأجدك هنا» قال بصوت خالته لسواو: «ما الذي فعلته فرانشيسكا لقد مضى علي خمس ساعات وأنا أفتش عليك لقد أتيت الى هذا المنزل عشر مرات ولم أجدك و...».

صمت حين انتبه لوجهها وعيونها الحمراء فأسرع بالاقتراب منها ومد يديه ليحيط كتفيها بذراعيه. الا انها انتفضت بشدة وقالت بألم: «لا تلمسني أبعد يداك عني».

ظهرت الدهشة على وجهه وقال: «فرانشيسكا ما الأمر؟؟».

شيء ما بملامحه وتصرفاته سرق صوتها ولم تستطع ان تنطق بشيء.

نظر حوله للحظات ثم قال: «انت تحبين هذا المكان لا؟».

سؤاله كان تأكيداً أكثر منه استفساراً.

استعادت رباطة جأشها وقالت بصرامة: «أجل لكن لا علاقة لهذا بما سأقوله لك الآن. جيرارد أنا أريد حريتي وأريدها الآن لم أعد أطيق هذه الحياة لم يعد بإمكاني التحمل».

تابع كأنه لم يسمع كلماتها: «انت تحبين هذا المكان كثيراً وترغبين بالعيش به الى الأبد. أنا سأحقق لك هذا».

«هذا مستحيل» قالت وهي تتساءل لماذا يعذبها هكذا.

«بل ممكن جداً لكني سأحققه لك وأعطيك أوراق دين والدك بشرط واحد».

نظرت اليه باستفسار فقال بطريقته الواثقة المتعجرفة: «بشرط ان نبقى معاً... في السراء والضراء».

طغى صوت قلبها على سمعها لاقتراضه المتعجرف هذا بأنها ستوافق على اقتراحه. اذا وافقت فهذا سيعني اغراءاً كبيراً لكن طلبه البارد هذا لم يشبع جوع قلبها فنهضت بعناء وقالت: «انت معتاد على

اللجوء الى الابتزاز العاطفي للوصول الى مبتغاك أليس كذلك؟ لا شك انك معتاد على استعمال هذه الوسيلة مع الجميع. لكني أخبرك الآن وسيلتك هذه لن تنجح معي. بالرغم من كل حبي وتعلقي بهذا المنزل الا انني أعطيك اياه لتفعل به ما تشاء».

كلماتها كانت كالفأس التي ضربت رأسه بشدة فحدق بها بعدم تصديق وقال: «هل تدركين ما تفعلين؟».

«أدرك ذلك تماماً! أنا لن أتابع زواجنا بسبب هذا التقديم. كان الأمر ممكناً حين كانت... عمتي لا تزال حية لكني الآن لن أتابع حياتي معك جيرارد لن أستمر بهذا الزواج الفاشل الذي يعيش فقط بسبب الرغبة بسبب الولع الجسدي. عندك جاكلين بوارا اذهب اليها وأطفأ نيران رغبتك بها انها تنتظرك بلهفة. رؤيتي لكما سوياً هذه الظهيرة أظهرت لي الحقيقة. انت لن تكتفي بإمرأة واحدة جيرارد لن تكون رجلا وفياً أبداً لن تفكر الا برغباتك وشهواتك... وأنا لن أعيش بانتظار ان تمل مني لن أتحمل هذا الأمر اتركني جيرارد، أعطني حريتي الآن قبل ان تقضي هذه الحياة علي».

حدق بها بذهول وتركها حتى تنتهي من كل كلامها حين حدث التحول الكبير بمحياه ولانت عيونه وظهرت طيف ابتسامة على شفتيه: «أيتها المجنونة الغبية، أيتها البلهاء هل لهذا السبب تريدينني ان اسلخك من حياتي ان أبعدك عن منزلي. الا تعرفين أنني منذ اللحظة التي رأيتك بها لم أعد أشعر برغبة بأية امرأة أخرى سواك، منذ اللحظة التي أردتك بها صرت وحدك من تحتل تفكيري. أنا لا أنكر أنني رغبت بك بشهوة فقط مذ رأيتك لا أنكر ان انجذابي نحوك كان جسدياً في البداية لكن كل شيء تحول مع الأيام. أصبحت انت وحدك من أفكر بها طوال الوقت. أصبحت انت وحدك من تسكن قلبي وروحي واذا كان هذا ما يسمونه حباً فإذن أنا مجنون بحبك فرانشيسكا برديل، مجنون بحبك».

اكتنفها الذهول لتصريحه الرائع هذا وسمعت نفسها تتمتم من حنجرتها الجافة: «لكنك... لكنك ذهبت اليها تلك الليلة و...

و... كنت معها هذا اليوم و...».

«لقد ذهبت اليها فعلاً تلك الليلة وكان في نيتي مطارحتها الغرام لكني لم أستطع حتى ان ألمسها أو أقبلها ولو على جبينها خيالك انت كان أمامي ويمنعني من القيام بأي شيء فأدركت حينها انك انت من أريد وأنك انت من أحب وأنت دون نساء العالم» صمت للحظات مقترباً منها بهمس وهو يرى الدموع تتجمع في عيونها وتابع برقة: «وهذا اليوم أنا لم أشاهدها مطلقاً لقد أخبرتها في حفلة آل ماكوردو انها لا تعني شيئاً لي وأنك انت كل حياتي وأن بإمكانها الذهاب الى اي مكان لأن علاقتها بي لا تتعدى علاقة الصديق بصديقته القديمة وقد ذهبت اليوم الى المنظف لأن بعض القهوة قد انسكبت على سترتي الرمادية هذه و...».

«سترتك الرمادية» هتفت فرانشيسكا بجنون.

لم يفهم معنى تصرفها وأخذ يحدق بها باندهاش. فما كان منها الا ان قفزت اليه وعانقته بشدة وهي تقول: «سترتك الرمادية، يا الهي سترة ذلك الرجل كانت سوداء أنا واثقة من هذا، يا الهي هو لم يكن انت وأنت... انت تقول انك تحبني و...».

أخذ جيرارد يلملم دموعها بفمه بحنان ويهمس: «يا حبيبتي الصغيرة حين عدت ولم أجدك اليوم وأخذت أبحث عنك في كل مكان دون جدوى اعتقدت انك قد رحلت وتركتني وأدركت كم هي حياتي تافهة وفارغة بدونك. أريدك ان تكوني معي دوماً ان أستيقظ كل يوم في حياتي وانت بجانبي أريدك ان تحملي بأطفالي و...».

ضحكت بسعادة قصوى وقالت له: «أمنيتك هذه تحققت بسرعة».

أمسك بها وحدق بعيونها: «ماذا... ماذا تقولين؟».

«أنا أحمل جنينك في داخلي منذ شهرين».

«ولماذا لم تطلعيني على ذلك؟» سألها بذهول.

«لأنني لم أرغب بأن تتابع حياتك معي فقط لأجل الطفل أردتك ان تكون حبيبي وأن أكون كل حياتك كما انت كل حياتي».

وانقطعت كلماتها لأن شفاهه اللاهبة تناولت فمها بلهفة...